آيات الحكمة
دراسة تحليلية وموضوعية

الدكتور قوام الدين عبد الستار محمد الهيتي

Wisdom verses
subjective and analytical study

Prof.Dr Quwam Al Din Abdul Satar Muhhamed Al Hiti

The search consists of the wisdom verses that has been mentioned in the Holly Quran .the search first mention the definition of the wisdom and its grace and clear that the origin of the wisdom is to put the subject in its place ,and it is a grade of perfection that Allah describe HIMSELF and describe his elites from humans ,those are the prophets and some of his closed servants ,and the search also shows of the wisdom rise in the human good attitude

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الحكيم الذي أتقن كل شيء صنعاً، والصلاة والسلام على نبينا محمد الداعي إلى الصراط السوي بالحكمة والموعظة الحسنة.

أما بعد:

فقد كانت تراودني فكرة منذ سنين عديدة أن أكتب بحثاً حول الحكمة، لكثرة ترددها على ألسنة العقلاء والمفكرين على اختلاف تخصصاتهم، ولما علمت أنها من صفات الكمالات لوصف رب العزة ذاته العلية بأنه حكيم وكذا نعت بعض النبيين بها، وبعض عباده الصالحين مما دلل على أهمية الحكمة، فأردت أن أقف على أصلها في اللغة واصطلاح العلماء لمعرفة حقيقتها، ومقوماتها، وكيفية الظفر بها، وبيان فوائد الالتزام بها.

لأنفع بذلك نفسي وكل من قصد أن يكون حكيماً في قوله وفعله، للارتقاء بأنفسنا إلى ما هو الأسمى والأفضل، فشرعت أجمع آيات الحكمة في القرآن الكريم، وقد كان عددها ثماني عشرة آية، وردت فيها لفظة الحكمة خاصة، كي أدرسها دراسة موضوعية وتحليلية، بأن أجمع كل مجموعة من الآيات في موضوع واحد لأنظر في معانيها ومراميها، مع تحليل ألفاظ الآيات وذكر الأوجه الإعرابية، وسرد ما فيها من أوجه القراءات التي تؤثر في تغيير المعاني، كما نبهت على الالتفاتات البلاغية إن وجدت.

ثم ذكرت المعنى الكلي، أو العام، أو الإجمالي، لهذه الآيات، واستخلاص الفوائد والأحكام المستنبطة منها. واضطرني ذلك إلى الرجوع إلى أقدم المصادر التي عنيت ببيان غريب القرآن وإعرابه، وكشف مدلولاته ومعانيه العامة من كتب التفسير المعتمدة، على اختلاف مناحي مصنفيها، وأبرز الصعوبات التي صادفتني تشعب المادة في بطون كتب الغريب والإعراب والقراءات والتفسير العام.

واستلزم البحث أن أقسمه على مقدمة بينت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياري له ومنهجي في كتابة هذا البحث والصعوبات التي واجهتني.

وستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الحكمة وبيان فضلها، واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الحكمة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: فضل الحكمة في كونها من الكمالات.

المبحث الثاني: بيان المراد من الحكمة التي علمها الرسول ﷺ أمته.

المبحث الثالث: الحكمة التي آتاها الله النبيين، واشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحكمة التي آتاها الله آل إبراهيم عليه السلام.

المطلب الثاني: الحكمة التي آتاها الله داود عليه السلام.

المطلب الثالث: الحكمة التي آتاها الله عيسى عليه السلام.

المبحث الرابع: الحكمة التي آتاها الله غير النبيين مثل لقمان الحكيم.

المبحث الخامس: الحكمة في الدعوة إلى دين الله تعالى.

المبحث السادس: من معاني الحكمة الاعتبار بحال الأمم السابقة.

والخاتمة ذكرت فيها ما توصلت إليه من نتائج، ثم عرفت في آخر البحث بالمصادر والمراجع التي اعتمدتها.

وهذا مبلغ علمي فإن وفقت فلله الحمد، وإن كان بخلاف ذلك فرحم الله من دلني إلى ما فيه الحكمة والصواب.

والله الموفق لكل خير.

الباحث

أ.د. قوام الدين عبدالستار محمد الهيتي

المبحث الأول

تعريف الحكمة وبيان فضلها

المطلب الأول: تعريف الحكمة في اللغة والاصطلاح

أولاً: تعريف الحكمة في اللغة

ذكر اللغويون في مادة حكم أن الحكم أصله المنع، ومنه سميت اللجام حكمة الدابة.

ويقال: حكمت الدابة وأحكمتها، وحكمت السفيه، وأحكمته: أخذت على يده.

وسميت الحكمة بهذا، لأنها تمنع من الجهل، ومنه قول الشاعر جرير:

ابني حنيفة أحكموا سفهاءكم
إني أخاف عليكم أن أغصبا(1)

أي ردوهم، وكفوهم، وامنعوهم من التعرض لي(2). وقيل للحاكم بين الناس حاكم، لأنه يمنع الظالم من الظلم. والحكمة: العدل(3).

والحكيم: العالم ذو الحكمة، وهو المتقن للأمور(4). فيقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم(5). والحكيم من أسماء الله تعالى (هو الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب وإنما ينبغي أن يوصف بذلك لأن أفعاله سديدة، وصنعه متقن، ولا يظهر الفعل المتقن السديد إلا من حكيم)(6).

---

(1) ينظر: البيت الشعري في: ديوان جرير: 47.

(2) ينظر: مجمل اللغة لأبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي: 246/1، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن للعلامة الراغب الأصفهاني: 126-127، ولسان العرب لابن منظور: 953/2-954.

(3) ينظر: لسان العرب: 952/2.

(4) ينظر: المصدر نفسه.: 951/2.

(5) ينظر: المصدر السابق: 951/2،ومختار الصحاح للرازي: 148.

(6) ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي: 22.

والحكم: هو مصدر حكم يحكم، ويراد به العلم والفقه، والقضاء بالعدل، فقال تعالى بشأن يحيى بن زكريا عليهما السلام: ژ ﭗ ﭘ ژ(1) أي علماً وفقهاً.

وقال النابغة:

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت
إلى حمامٍ سراعٍ وارد الثمد(2)

وحكي أن معنى هذا البيت كن حكيماً كفتاة الحي، أي إذا قلت فأصب، كما أصابت هذه المرأة، إذ نظرت إلى الحمام فأحصتها ولم تخطئ عددها(3).

والمحكم: الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب(4).

العلاقة بين الحكم والحكمة:

(الحكم أعم من الحكمة، فكل حكمة حكم، وليس كل حكم حكمةً.

فإن الحكم يقضي بشيء على شيء، فيقول: وهو كذا، أو ليس بكذا)(5).

والمحكم: المجرب المنسوب إلى الحكمة.

قال طرفة: ليت المحكم والموعوظ صوتكما(6)، أراد به الشيخ المنسوب إلى الحكمة(7).

تبين مما سبق عرضه أن للحكمة عدة معانٍ منها:

1. المنع عن الفساد، والجهل، والظلم.

---

(1) سورة مريم: الآية: 12.

(2) ينظر: البيت الشعري في: ديوان النابغة الذبياني: 26، وقد ورد في الديوان بلفظ:

احكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت
إلى حمامٍ شراعٍ وارد الثمد

(3) ينظر: لسان العرب: 2/951-952.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 2/952.

(5) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن: 126-127.

(6) ينظر: ذيل ديوان طرفة بن العبد، مع شرح الأديب يوسف الأعلم الشنتمري: 156 وعجز بيت طرفة: تحت التراب إذا ما الباطل انكشفا.

(7) ينظر: مجمل اللغة: 1/246.

2. العدل.
3. إصابة الحق.
4. إتيان الأمور على أتم وجه وأحسنه، بلا اختلاف فيها، ولا اضطراب، وبلا إضرار للدين والدنيا.
5. الموعظة، أو الوصية بالمعروف، واجتناب المنكر.
6. الاعتبار بما جرى للآخرين.

ثانيا: تعريف الحكمة في الاصطلاح:

عرفت الحكمة بتعريفات عدة، نذكر ما وقفنا عليه منها:

1. عبر بعض الفلاسفة عن الحكمة بأنها:

(التشبه بالإله بقدر الطاقة البشرية).

يريدون بذلك أنها تعني تجنب الخطأ والزلل على قدر الوسع والطاقة، أو أنها تعني فعل الصواب(1).

2. وعرفها المعتزلة بأنها:

(قوة الفهم ووضع الدلائل).

واعتقدوا أن الحكمة لا تقوم بنفسها، وإنما ينتفع بها المرء بأن يتدبر ويتفكر، فيعرف حاله، وما عليه، فعند ذلك يقدم أو يحجم(2).

3. وعرفها بعضهم بأنها: (معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم)(3).

4. وعرفها الراغب الأصفهاني ت503هـ بقوله:

(الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل).

ثم زاد قائلاً: فالحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات، وفعل الخيرات)(4).

---

(1) ينظر: تفسير الفخر الرازي: 77/20.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 7/74-75.

(3) ينظر: لسان العرب: 951/2.

(4) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن: 126.

5. وعرفها الغزالي ت505هـ بقوله: (حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية)(1).

وقال الغزالي وهو يتحدث عن الحكمة: (وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثا وجربزة، ويسمى تفريطها بلها.

والوسط: هو الذي يختص باسم الحكمة.

والمحمود هو الوسط، وهو الفضيلة، والطرفان (رذيلتان مذمومتان)(2).

6. وعرفها أبو بكر بن العربي المالكي ت543هـ بأنها: (العمل بمقتضى العلم)(3).

7. وعرفها الإمام الفخر الرازي ت606هـ بقوله:

(الحكمة: عبارة عن توفيق العمل بالعلم، فكل من أوتي العمل بالعلم فقد أوتي الحكمة، وإن أردنا تحديدها بما يدخل فيه حكمة الله تعالى، فنقول: (حصول العمل على وفق المعلومات)(4).

وعرفها في موضع آخر بأنها: الإصابة في القول والعمل). ثم قال: ولا يسمى حكيما إلا من اجتمع له أمران، يريد والقول والعمل معاً(5).

وعرفها في موضع آخر بأنها: (فعل الصواب).

ورأى أن الحكمة لا يمكن أن تخرج من شيئين:

أ. أن يعرف الحق لذاته، وهذا يرجع إلى العلم والإدراك المطلق.

ب. وأن يعرف الخير لأجل العمل به، وهذا يرجع إلى فعل العدل والصواب(6).

---

(1) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي: 54/3.

(2) ينظر: المصدر السابق: 54/3.

(3) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: 1214/3.

(4) ينظر: تفسير الفخر الرازي: 146/25.

(5) ينظر المصدر نفسه: 73/4.

(6) ينظر المصدر نفسه: 73/4.

وعرفها في موضع آخر فقال: الحكمة: إما معرفة حقائق الأشياء، أو الإقدام على الأفعال الحسنة الصائبة(1).

8. وعرفها القرطبي ت671هـ بقوله: هي الصواب في المعتقدات والفقه في الدين والعقل(2).
9. وحدها البيضاوي ت791 بأنها: معرفة الحق لذاته، والخير للعمل به. ثم نقل تعريف العلماء لها إذ قال: (الحكمة في عرف العلماء: استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية، واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها)(3) وهذان التعريفان للحكمة متقاربان إذ جعلا للحكمة ركنين أساسيين هما:
    أ. اكتساب العلم النافع.
    ب. اختيار ما هو خير من الأفعال.

ويتجلى مما سبق عرضه: أن الحكمة لا تخرج عن ركني: العلم النافع، والعمل الفاضل، مع اتخاذ جانب الوسطية، والتزام الخلق الرفيع، والعدل في الأمور كلها، وانتفاع المرء من تجارته، أو خلق، أو تجربة، أو وسطية قد يفسد الأحوال أكثر مما يعمرها، وقد يكون العالم عاملاً ذا خلق جم، ولكن ليس له تجربة أو دربة فيما يقدم عليه، لذا لا بد له أن يجتهد في إصابة الحق، وأن يستشير ذوي الخبرة والمران، لأن خطأه ليس كخطأ غيره.

لذا يمكننا أن نعرف الحكمة بأنها:

إتيان الأمور حسب ما يستلزمه العلم، والخلق، والعدل، والتجربة، و الوسطية.

فالحكمة في نظرنا تقوم على الأمور الآتية:

1. العلم النافع.

---

(1) ينظر: المصدر نفسه: 74/7.

(2) ينظر: تفسير القرطبي: 59/14.

(3) ينظر: تفسير البيضاوي: 571/1.

2. الخلق القويم.
3. العدل المجانب للظلم.
4. الانتفاع بتجربة من سبق، وأخذ العبرة منها.
5. اتخاذ جانب الوسطية بلا إفراط ولا تفريط.

المطلب الثاني

فضل الحكمة في كونها من الكمالات

يتجلى فضل الحكمة في كون الله تبارك وتعالى قد وصف ذاته العلية بأنه حكيم، في سبع وتسعين آية من آيات القرآن الكريم(1).

ومن تلك الآيات ما أورده الله تعالى على لسان الملائكة ژ**چچڇڇڍڍڌڌڎڎڈژژڑ** ژ(2).

ومعنى كونه سبحانه حكيما أنه ذو حكمة، فهو لا يأتي الأمور إلا على وجه الصواب، المتمثل بالعدل والعلم والموعظة البالغة، دون تغيير لمنهجه مع عباده. كما وصف الباري ﷻ ذاته المقدسة بأنه أحكم الحاكمين في آيتين ألا وهما قوله تعالى ژ□□□□□□□ژ(3).

ومما يدل كذلك على فضل الحكمة، وأهمية التخلق بها، من الله ﷻ على أنبيائه عليهم صلوات ربي وسلامه ما آتاهم من الكتاب والحكمة، فقد قال تعالى: ژ **ڳڳڳڱںڻڻٹٹۓ** ژ(4).

ولأهمية الحكمة، وعظيم منزلتها فقد دعا الله سبحانه النبيين عليهم الصلاة والسلام أن يعلموا أقوامهم الحكمة التي آتاهم الله إياها، وجعل الله الحكمة مما يغبط عليه الإنسان، أو يحسد، إذ قال تعالى: ژ**ٿڤڤڦڦڤڦڄڄڃڃڄڃڃڇچ**ژ(5).

---

(1) ينظر: المعجم المفهرس للألفاظ القرآن الكريم: 214-215 لمحمد فؤاد عبدالباقي.

(2) سورة البقرة، الآية: 32.

(3) سورة هود، الآية: 45.

(4) سورة آل عمران، الآية: 81.

(5) سورة النساء، الآية: 54.

وجعل الله الحكمة من منحه الإلهية التي وهبها لداود ﵇، إذ بين الله فضله عليه فقال: ﮋ **ﭬﭭﭮ ﭯﭰ**ﮊ (1). وقال تعالى وهو يمتن عليه، ويذكر فضله في آية أخرى ﮋ**ﮩﮪﮫ**ﮊ (2).

ومنحها الله تعالى لعيسى ﵇ حتى يفصل بها ما اختلف فيه بنو إسرائيل، فقال جل شأنه: ﮋ**ﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬ**ﮊ (3).

ووهب الله الحكمة بعض عباده من غير النبيين، مثل لقمان الحكيم، كي يشكر ربه على نعمه الكثيرة، ولا يكفر به. إذ قال تعالى ﮋ**ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡ**ﮊ (4).

وأمر الباري ﻷ محمداً ﷺ أن يعلم قومه الحكمة التي آتاها الله له، كي تزكوا نفوسهم، ويتعلموا ما ينفعهم في آجلهم وعاجلهم. ويبتعدوا عن الضلالة التي كانوا عليها. فقال تعالى ﮋ**ﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧ ﭨﭩﭪﭫ**ﮊ (5).

وبين تعالى منزلة الحكمة، بأن من حازها فقد أعطي خيراً كثيراً ينفعه لسعادة الدارين معاً. فقال عــــز من قائل: ﮋ□□□□□□□ﮊ (6).

وفي هذا زيادة الحض منه تبارك وتعالى لعباده كي يشمروا عن ساعد الجد لينالوا الحكمة، ويعملوا بمقتضاها لترتفع مكانتهم في الدنيا والآخرة.

وجعل الله تعالى الحكمة البالغة الاعتبار بحال الأمم الغابرة لئلا يصيب المؤمنين ما أصابهم، إن هم نكصوا عن الصراط المستقيم الذي أمرهم الله جل وعلا بإتباعه، فقال تعالى ﮋ**ﯘﯙﯚﯛ**□□□□□□□□ﮊ (7).

---

(1) سورة ص، الآية: 20.

(2) سورة البقرة، الآية: 251.

(3) سورة الزخرف، الآية: 63.

(4) سورة لقمان، الآية: 12.

(5) سورة الجمعة، الآية: 2.

(6) سورة البقرة، الآية: 269.

(7) سورة القمر، الآيتان: 4-5.

وأشاد الإمام أبو حامد الغزالي بفضلها فقال: (والحكمة رأس الأخلاق الحسنة)(1).

يظهر مما سبق ذكره أنه ينبغي للإنسان الذي ينشد العلياء والسؤدد أن ينال نصيبه من الحكمة التي وصف الحق جل جلاله نفسه بها. كما وصف بها أنبياءه، وعباده المقربين المخلصين وما ذلك إلا لعلو شأنها، وعظيم منزلتها في تحقيق الكمالات التي يسعى لها ذوو الهمم العالية، الذين ينشدون الظفر بعز الدارين وسعادتهما.

والآن نأتي إلى تحليل الآية التي أشادت بفضل الحكمة وهـــي قوله تعالى: ژ **ېېپ**□□□□□□□□□ژ(2).

معاني الألفاظ:

يؤتي: يعطي.

الحكمة هنا: قيل النبوة كما رآه السدي، وفسرها ابن مسعود بالقرآن وقال ابن عباس وقتادة علم القرآن وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه وأمثاله.

وقال الضحاك وجاهد: القرآن والفهم فيه.

وروي عن مجاهد أنه فسرها بالإصابة في القول والعمل.

وقال إبراهيم النخعي: معرفة الأشياء وفهمها.

وقال أبو العالية: الحكمة خشية الله. فإن خشية الله رأس كل حكمة.

وقال الحسن البصري: هي الورع في دين الله.

وعن زيد بن أسلم: أنها العقل.

وقال الإمام مالك: الحكمة: هي الفقه في دين الله، وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله(1).

---

(1) ينظر: إحياء علوم الدين: 54/3.

(2) سورة البقرة، الآية: 269.

الإعراب:

من يؤت: من أداة شرط جازمة.

يؤت: فعل الشرط جزم بمن.

وجواب الشرط: فقد أوتي خيراً كثيرا(2).

وأعربت من: مبتدأ، وما بعدها خبر.

وإذا قرئت بكسر التاء: يؤت فتعرب من على هذا في محل نصب بيؤت.

ويؤت مجزوم بها. فقد عمل فيما عمل فيه، والفاعل ضمير أسم الله.

والأصل في يذكر: يتذكر فأبدلت التاء ذالا لتقرب منها فتدغم(3).

وقيل: من يؤت الحكمة: من في محل الرفع على ما لم يسم فاعله.

والحكمة: خبره(4).

من يشاء: مفعول أول آخر للاهتمام بالمفعول الثاني(5).

لأن الفعل آتى يأخذ مفعولين.

القراءات:

قرأ يعقوب: يؤتي الحكمة بكسر التاء. أي من يؤتيه، يؤته الله الحكمة. دليله قراءة الأعمش: (ومن يؤته الله)(6).

المعنى الإجمالي:

---

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 1/351-352، تفسير البغوي: 1/256-257 وتفسير ابن كثير: 1/304 وتفسير البيضاوي: 1/140.

(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 1/352 وإعراب القرآن للنحاس: 10/337.

(3) ينظر: التبيان للعكبري: 1/220.

(4) ينظر: تفسير البغوي: 1/257.

(5) ينظر: تفسير البيضاوي: 1/140.

(6) ينظر: الكشاف: 1/316 وتفسير البغوي: 1/257، وتفسير البيضاوي: 1/140.

إن من يهبه الله الحكمة سواء فسرت بالنبوة أو بالقرآن أو بالفهم في الدين أو الورع فيه، أو الإصابة في القول والعمل أو غير ذلك من معاني الخير فقد أعطي الإنسان خيرا كثيرا، كأنه قد خير له خير الدارين، وصار صاحبها من ذوي السعادة الأبدية.

وما يتفكر في ذلك أو يتعظ إلا ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون إلى متابعة الهوى.

والحق إن الحكمة لا تختص بالنبوة بل هي أعم منها، وإن كانت النبوة أعلاها والرسالة أخص منها ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير(1).

المبحث الثاني

الحكمة التي علمها الرسول ﷺ أمته

قال تعالى: ژڃڄڃيڃڄڃڇچڃڇچڃيديدژ (2).

معاني الألفاظ:

فيهم أي في الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم، وإسماعيل، فلم يبعث الله من ذريتهما نبياً غير محمد ﷺ فهو المجاب به دعوتهما(3).

رسولا منهم: أي مرسلاً منهم، أي من أنفسهم، وهو مفعول من الرسالة(4)، وأراد به محمداً ﷺ.

فقيل له: قد استجيب لك، وهو كائن في آخر الزمان، قاله السدي، وقتادة(5).

وقال الفخر الرازي: هذا الدعاء يفيد كمال حال ذريته من وجهين:

---

(1) ينظر: تفسير البغوي: 1/256-257، وتفسير ابن كثير: 1/304، وتفسير البيضاوي: 1/140.

(2) سورة البقرة، الآية: 129.

(3) ينظر: تفسير البيضاوي: 1/87.

(4) ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 2/131.

(5) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 1/175.

1. أن يكون فيهم رسول يكمل لهم الدين والشرع، ويدعوهم إلى ما يثبتون به على الإسلام.
2. أن يكون ذلك المبعوث منهم لا من غيرهم(1).

يتلو عليهم آياتك: يقرأ عليهم، ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل وصدق أنبيائك(2).

الكتاب: القرآن(3).

قال محمد بن إسحاق: ويعلمهم الكتاب والحكمة، يعلمهم الخير فيفعلوه، والشر فيتقوه، ويخبرهم برضا الله عنهم، إذا أطاعوه، يستكثروا من طاعته، ويتجنبوا ما يسخطه من معصيته(4).

ورأى الفخر الرازي: أن معنى ژ **ﭼﭽ**ژ: يأمرهم بتلاوة الكتاب، ويعلمهم معاني الكتاب وحقائقه(5).

الحكمة:

اختلف المفسرون في المراد منها على النحو الآتي:

1. قال مجاهد: هي فهم القرآن.
2. قال مقاتل: مواعظ القرآن وما فيه من أحكام.
3. قال قتيبة: هي العلم والعمل، ولا يكون الرجل حكيما، حتى يجمع العلم والعمل معا.
4. وقال قتادة: هي السنة والأحكام، قاله الحسن ومقاتل بن حيان وأبو مالك وغيرهم(1).

---

(1) ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي: 4/71-72.

(2) ينظر: تفسير الكشاف للزمخشري: 1/188.

(3) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري: 1/435.

(4) ينظر: تفسير ابن كثير: 1/75.

(5) ينظر: تفسير الفخر الرازي: 4/73.

5. وقيل: هي الحكم والقضاء خاصة.

6. وقال مالك: هي الفقه في الدين والإتباع له(2).

7. وقيل: ما تكمل به نفوسهم من المعارف والأحكام(3).

8. وقيل: الشريعة وبيان الأحكام(4).

وقيل هي الحكم والقضاء خاصة.

وقيل: هي الحكم، وهو مراد الله بالخطاب من مطلق ومقيد ومفسر ومجمل، وعموم وخصوص(5).

وقيل هي الفصل بين الحق والباطل.

وقيل: العلم بالآيات المتشابهات.

وقيل: إنه يعلمهم حكمة تلك الشرائع، وما فيها من وجود المصالح والمنافع.

وقيل: لكل صفات الكتاب، كأنه تعالى وصفه بأنه آيات، وبأنه كتاب، وبأنه حكمة(6).

وسئل الإمام مالك عن الحكمة فقال: معرفة الدين والفقه في التأويل فيه، والإتباع له. وقاله ابن زيد.

وقال الشافعي: الحكمة سنة رسول الله ﷺ وهو قول قتادة(7).

---

(1) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري: 436/1، تفسير القرطبي: 131/2،وتفسير ابن كثير: 175/1.

(2) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري: 436/1.

(3) ينظر: تفسير البيضاوي: 87/1.

(4) ينظر: الكشاف: 188/1.

(5) ينظر: تفسير القرطبي: 131/2.

(6) ينظر: التفسير الكبير: 73/4.

(7) ينظر: المصدر نفسه: 73/4.

يزكيهم: عن ابن جريج وغيره: يطهرهم من وضر (وسخ) الشرك وسائر الأرجاس والذنوب. لقوله تعالى: ژڌڎڎڈڈژ(1).

وعن ابن عباس ﷺ: طاعة الله والإخلاص.

وقيل يأخذ الزكاة من أموالهم.

وقال ابن كيسان: يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ، مأخوذ من التزكية، وهي التعديل. أي يشهد لهم بأنهم أزكياء يوم القيامة، كتزكية المزكي للشهود(2). ورجح الطبري أن يكون المراد من قوله تعالى ژچژفي هذا الموضع: (ويطهرهم من الشرك بالله وعبادة الأوثان، وينميهم ويكثرهم بطاعة الله)(3).

العزيز: قال ابن عباس ﷺ: العزيز، الذي لا مثيل له.

وقال الكلبي: المنتقم.

وقيل: المنيع، الذي لا ينال ولا يغالب.

وقيل: القوي، فالعزة: القوة.

وقال الكسائي: الغالب(4).

وقال ابن كيسان: الذي لا يعجزه شيء وهو قادر على كل شيء(5).

---

(1) ينظر: تفسير المشكل في غريب القرآن للإمام مكي بن أبي طالب القيسي: 34، الكشاف: 189/1، وتفسير الطبري: 131/2، وتفسير البيضاوي: 87/1.

(2) ينظر: تفسير الفخر الرازي: 74/4.

(3) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري: 436/1.

(4) ينظر: تفسير القرطبي: 131/2.

(5) ينظر: تفسير القرطبي : 131/2 وتفسير ابن كثير: 175/1، وتفسير البيضاوي: 87/1. وينظر: تفصيل معاني الآية السابقة في المصادر الآتية: تفسير البغوي: 116/1-117 والكشاف: 188/1-189، وتفسير الفخر الرازي: 71/4-74، وتفسير القرطبي: 131/2، وتفسير ابن كثير: 175/1، وتفسير البيضاوي: 187/1.

الحكيم: من أسماء الله تعالى، وكذا الحكم، وهما بمعنى الحاكم، وهو القاضي.

وهو الذي يحكم الأشياء ويتقنها، فهو فعيل بمعنى مفعل وهو المتقن للأمور(1).

وهو العالم، وصاحب الحكمة(2).

وهو ذو الحكمة، الذي لا يأتي إلا ما هو حكمة(3) سواء كان ذلك في الأقوال، أو الأفعال، فيضع الأشياء في محلها، وحكمته وعدله(4).

القراءات:

في قراءة أبي بن كعب ﷺ: **(وابعث في آخرهم رسولا منهم)**(5).

الإعراب:

(يتلو): في موضع نصب لأنه نعت لرسول أي رسولا تاليا. ويجوز في غير القرآن جزمه، ليكون جوابا للمسألة.

ژ **چچچ**ژ عطف عليه(6).

(وَابْعَثْ فِيهِمْ): ذكر على معنى الأمة. ولو قال: فيها لرجع إلى لفظ الأمة.

(يَتْلُو عَلَيْهِمْ): في موضع نصب صفة لرسول.

ويجوز أن يكون حالا من الضمير في (منهم)، والعامل فيه الاستقرار(7).

المعنى الإجمالي للآية:

---

(1) ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة حكم: 2/951-953.

(2) ينظر: مختار الصحاح للرازي: 148 مادة حكم.

(3) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 1/424.

(4) ينظر: تفسير ابن كثير: 1/175.

(5) ينظر: جامع أحكام القرآن للقرطبي: 2/131.

(6) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1/262.

(7) ينظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري: 1/116.

أخبر تعالى عن دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام لأهل الحرم أن يبعث فيهم رسولا من أنفسهم، من ذرية إبراهيم وإسماعيل 8 فاستجاب الله لهذه الدعوة المباركة الخالصة بعظيم قدرته إذ بعث محمداً ﷺ رسولا في الأميين خاصة، وإلى الأنس والجن كافة(1). يتلو عليهم آيات الله، ويبينها لهم. ويطبقها، من أجل أن يزكي نفوسهم ويطهرها من الشرك والرذائل ويكمل لهم الدين الحق ليعملوا به. حتى يظفروا بسعادة الدارين. وقد قدر الله إرسال النبي ﷺ بواسع قدرته وعظيم حكمته والتي تستلزم أن لا يأتي في الأمور كلها إلا بما هو حق وخير.

الفوائد المستنبطة:

1. بعث الله سبحانه نبينا محمدا ﷺ رسولا إلى أمة العرب خاصة وإلى الناس كافة استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام وقد وافقت تلك الدعوة قدر الله سبحانه الذي كتبه منذ الأزل.
2. إن محمداً ﷺ قد كلفه الله بالرسالة الخاتمة، وتمثلت دعوته بتعليم الأمة تلاوة القرآن الكريم وبيان حقائقه ومقاصده، وتطبيق أوامره ونواهيه وعقائده ومبادئه وأحكامه وآدابه وتطهير نفوسهم من الشرك والرذيلة.
3. إن تبليغ رسالة الإسلام قد تمت بإرادة الله، وتأييده وحكمته.

وقال تعالى: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﮊ(2) هذه الآية خطاب لأهل مكة والعرب، ومعناها: ما أرسلنا فيكم يا معشر العرب(3).

ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ: يعني محمداً ﷺ. وهذه الجملة من الآية متصلة بما قبلها، أي ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ في أمر القبلة، أو في الآخرة كما أتممتها بإرسال رسول منكم، أو تكون متصلة بما بعدها، أي كما ذكرتكم بالإرسال فاذكروني.

ﮋ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ يقرأ عليكم القرآن.

ﮋ ﯞ ﮊ: فيها ثلاثة أقوال:

---

(1) ينظر: تفسير ابن كثير: 175/1.

(2) سورة البقرة، الآية: 151.

(3) ينظر: تفسير البغوي: 128/1-129.

1. قال الحسن البصري: يعلمهم ما إذا تمسكوا به صاروا أزكياء من الشرك وقبيح الأفعال، أو يحملكم على ما تصيرون به أزكياء. قدمه باعتبار القصد، وآخره في دعوة إبراهيم عليه السلام باعتبار الفعل.
2. يزكيهم بالثناء والمدح. كما يقال: إن المزكي زكى الشاهد.
3. إن التزكية عبارة عن التنمية، كأنه قال يكثركم.

الكتاب: القرآن

والحكمة: السنة، وقيل مواعظ القرآن.

ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون: أي من الأحكام وشرائع الإسلام، بالفكر والنظر، إذ لا طريق إلى معرفته سوى الوحي، وكرر الفعل ليدل على أنه جنس آخر.

وقيل: يعلمكم من أمور الدين والدنيا الشيء الكثير الذي لم تكونوا تعلمون(1).

الإعراب:

(كما) حرف الكاف للتشبيه، ويحتاج إلى شيء يرجع إليه، وذكر النحويون في إعرابها عدة أوجه هي:

1. الوجه الأول: إن (كما) متعلقة بما بعدها وقوله ﷻ ژ □ □ ژ، فاذكروني بالشكر والإخلاص، كما أرسلنا فيكم. وهو اختيار الأصح.

فعلى هذا تعرب (كما) صفة منصوبة للذكر، أي ذكراً مثل إرسالي، وبه قال علي رضي الله عنه ومجاهد وعطاء والكلبي وهذا ما رجحه الزجاج.

2. الوجه الثاني: أن تكون متعلقة بما قبلها وهو مقوله ﴿**وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ**﴾ أي لأتم نعمتي عليكم في تحويل القبلة كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ورجحه الفخر الرازي، لأنه وقع قبل الكلام وقد وجد ما يتم به الكلام من غير فصل

---

(1) ينظر: المصدر السابق: 1/128-129 وتفسير الفخر الرازي: 4/158، وتفسير البيضاوي: 1/95، وصفوة التفاسير: 1/94.

وقدره أبو مسلم الأصفهاني: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً كما أرسلنا فيكم رسولاً.

3. الوجه الثالث: كما يجوز أن تكون الكاف في موضع نصب على الحال، أي ولأتم نعمتي عليكم في هذه الحال.
4. الوجه الرابع: أن تكون (كما) جوابا لما قبلها (لعلكم تهتدون) فيكون معنى الآية على هذا: أن الله سبحانه قد خاطب مشركي العرب الذين أنعم الله عليهم بإرسال محمد ﷺ رسولاً إليهم يعلمهم الحكمة، وأخبار الأنبياء، والفضائل، بعد أن كانوا أهل جاهلية أن يذكروا الله ﷻ، ويوحدوه، ويشكروا له، حتى يذكرهم الله تعالى برحمته، ومغفرته، والثناء عليهم.
5. الوجه الخامس: أن تكون (كما) في موضع نصب صفة لمصدر محذوف تقدره: تهتدون هداية كإرسالنا[1]. قاله الفراء، ورجحه ابن عطية. ما في قوله ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا**﴾: مصدرية كأنه قيل، كإرسالنا فيكم، ويحتمل أن تكون كافة[2].

الالتفاتات البلاغية:

1. يوجد بين كلمتي (أرسلنا) و (رسولاً) جناس الاشتقاق، وهو من المحسنات البديعية.
2. وجود الإطناب بين قوله تعالى: **ژۋېﭙﭙژ** بعد قولــــه **ژوۉۋژ**، وهذا من باب ذكر العام بعد الخاص لإفادة الشمول[3].

رأي الشافعي في المراد من الحكمة في هذه الآية ونحوها[4]:

---

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 2/227-228. وإعراب القرآن للنحاس: 1/271-272، وتفسير البغوي: 1/182، وتفسير الكشاف: 1/206، والبيان في غريب القرآن لابن الأنباري: 1/129، والتبيان في غريب القرآن للعكبري: 1/200 وتفسير القرطبي: 2/171.

(2) ينظر: تفسير الفخر الرازي: 4/157.

(3) ينظر: صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني: 1/94-95.

(4) مثل الآية: 164، سورة آل عمران، والآية: 34، سورة الأحزاب، والآية: 2، سورة الجمعة.

فسر الشافعي الحكمة الواردة في هذه الآية وغيرها في الآيات التي وردت في معناها بسنة رسول الله ﷺ ذلك أن الله تعالى قد فرض على الناس إتباع وحيه (القرآن الكريم)، وسنن رسوله ﷺ.

فذكر الله تعالى الكتاب، وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ.

وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله، وأن الله افترض طاعة رسوله ﷺ، وختم على الناس إتباع أمره، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسول الله ﷺ(1).

وقال أصحاب الشافعي: والدليل على ما ذهب إليه الشافعي: أنه تعالى ذكر تلاوة الكتاب أولا، وتعليمه ثانيا. ثم عطف عليه بالحكمة. فوجب أن يكون المراد من الحكمة شيئا خارجا عن الكتاب، وليس ذلك إلا سنة الرسول ﷺ(2).

المعنى الإجمالي للآية:

خاطب تبارك وتعالى العرب من أهل مكة، بأنه امتن عليهم بإرسال محمد ﷺ منهم، فعليهم أن يذكروا الله بالشكر والإخلاص كي يتم نعمته تعالى عليهم. إذا ما تمسكوا بنبيه إذ نجاهم الله به من الشرك والضلالة، وكثرهم بطاعة الله تعالى. وكانت وظيفته ﷺ تعليمهم كتاب الله تعالى من حيث قراءته، وبيان معانيه وحقائقه ومراميه أو مقاصده. وليعلمهم ما فيه الخير لهم في دينهم ودنياهم، بالتزام الحكمة أي إتباع هديه، أو التزام جانب الصواب في القول والعمل، بإتباع قواعد العلم النافع، أخذ العبرة، والانتفاع بتجارب المخلصين الصالحين.

الفوائد المستنبطة من الآية:

1. إن إرسال الله تعالى محمداً رسولاً إلى العرب إحدى النعم التي امتن الله بها عليهم.

---

(1) ينظر: أحكام القرآن للشافعي: 28-29 بتصرف.

(2) ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي: 73/2.

2. إن وظيفة الرسول ﷺ تعليم أمته تلاوة القرآن، وبيان معانيه ومقاصده، وتطبيق مبادئه وأحكامه وتطهير نفوسهم لما فيه سعادتهم.
3. إن الإسلام يدعو إلى تعلم العلم النافع في الدنيا والآخرة ويكره الجهالة والضلالة أو الانحراف عن جادة الصواب في الأمور كلها.

قال تعالى: ژ **ﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹ**ژ.

معاني المفردات:

ژ **ﭬﭭﭮﭯ**ژ: بالإيمان أو الإسلام وبيان الأحكام، والقيام بها. وهذا يتناول كل نعم الله على العبد في الدين والدنيا، ثم ذكر تعالى نعم الدين بعد هذا، وخصها بالذكر، لأنها أعظم من نعم الدنيا.

ژ **ﭰﭱﭲﭳ**ژ: يعني القرآن والحكمة: هي السنة المبنية على لسان الرسول ﷺ مراد الله فيما لم بنص عليه في القرآن. وافرد الله سبحانه القرآن والسنة إظهارا لشرفها.

وقيل الحكمة: مواعظ القرآن.

يعظكم به: أي يخوفكم بما أنزل عليكم ويأمركم وينهاكم ويتوعدكم على ارتكاب المحارم.

واتقوا الله: أي فيما تأتون، وفيما تذكرون.

واعلموا أن الله بكل شيء عليم، فلا يخفى عليه شيء من أموركم السرية والجهرية وسيجازيكم على ذلك.

وفي ذلك تأكيد وتهديد(1).

الالتفاتات البلاغية:

قوله تعالى:

---

(1) ينظر: تفسير البغوي: 210/1 وتفسير الفخر الرازي: 119/6 وتفسير القرطبي: 157/3، وتفسير ابن كثير: 266/1-267، وتفسير البيضاوي: 124/1.

1. ژ ﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳژهو من باب عطف الخاص على العام، لأن النعمة يراد بها نعم الله والكتاب والسنة من إفراد هذه النعم.
2. ويوجد في قوله تعالى ژ ﭼﭽﭾﭿﮀﮁژبين كلمة (اعلموا) و (عليم) من المحسنات البديعية ما يسمى بجناس الاشتقاق(1).

المعنى العام:

يذكر تعالى عبادة المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد ﷺ إليهم، ليتلو عليهم آيات الله، ويطهرهم من الشرك والرذائل، ويعلمهم بيان القرآن المتمثل بسنته، وهي الفهم الصحيح لكلام الله تعالى، والتطبيق العملي له. ليخرجكم من الظلمات إلى النور، أو من الجاهلية الجهلاء، إلى العلم الديني الصحيح، والعلم الدنيوي النافع وإلى الأخلاق الفاضلة، والمثل النبيلة.

وحذرهم الباري ﷻ من عدم شكر نعمه عليهم أو الكفر بها، ومن مخالفته في أوامره ونواهيه، لأنه مطلع على ظواهرهم وبواطنهم، وسيجازيهم حسب أعمالهم، إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر(2).

وقال تعالى: ژﯓﯔﯕﯖ□□□□□□□□□□□□□□□ □ □□□□ژ(3).

معاني الألفاظ الغريبة:

رأى الفراء أن قوله تعالى ژ□ژأي يأخذ منهم الزكاة، قياسا على قوله تعالى ژﮔﮕﮖﮗﮘﮙژ(4).

ونرى أن معناها على وجه الدقة والله أعلم هو: يطهرهم. قوله تعالى ژﭗﭘژ زاد تعالى في هذه الآية الأنفس، بينما حذفها في غيرها من الآيات، نحو قوله تعالى

---

(1) ينظر: صفوة التفاسير: 134/1.

(2) ينظر بتصرف: تفسير ابن كثير: 186/1.

(3) سورة آل عمران، الآية: 164.

(4) ينظر: معاني القرآن للفراء: 246/1.

ژ ﭻ ﭼژ(1)، لأن الله تعالى منَّ على المؤمنين بمحمد رسول الله ﷺ، إذ جعله من أنفسهم، ليكون موجب المنة أظهر، وليكون موجب الإجابة والإيمان به أبين(2).

معنى المنة:

ذكر في المنة أقوال فيها:

1. إن الله سبحانه قد من عليهم بإرسال محمد ﷺ الذين عرفوه بالصدق والأمانة، وهو بشر مثلهم، وإنه لم يتل كتابا، ولم يخطه بيمينه، فلما أتاهم بأخبار الغيب، كان البرهان على إثبات صدقة فيما أدعى، سهلا عليهم.
2. وقيل: إن تلك المنة لأنه منهم فشرفوا به.
3. وقيل كانت المنة فيه لأنه من العرب، لأنه لا حجة لهم في ذلك ولو كان من غيرهم، كما أنه لا صحبة لغير العرب عليهم فيه(3).

الإعراب:

إذ : ظرف(4).

من أنفسهم: في موضع نصب صفة لرسول. ويجوز أن يتعلق ببعث(5).

يتلو عليهم: في موضع نصب نعت لرسول(6).

القراءات:

قرأ رسول الله ﷺ، وفاطمة رضي الله عنها: من أنفسهم: أي من أشرفهم(7).

وقريء لمن من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم.

---

(1) سورة البقرة، من الآية: 129.

(2) ينظر: بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي: 166.

(3) ينظر: بتصرف: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 487/1. وإعراب القرآن للنحاس: 417/1.

(4) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 417/1.

(5) ينظر: التبيان للعكبري: 307/1.

(6) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 417/1.

(7) ينظر: تفسير الكشاف: 435.

وفيه وجهان:

الوجه الأول: أن يراد لمن من الله على المؤمنين منه أو بعثه إذ بعث فيهم، فحذف لقيام دلالته.

الوجه الثاني: أن يكون إذ في محل الرفع، كإذا في قولك:

أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائما.

ومعناها: لمن منَّ الله على المؤمنين وقت بعثه.

المعنى العام للآية:

من تعالى على المؤمنين إذ جعل رسول الله ﷺ منهم، وخص المؤمنين منهم، لأنه كان من جنسهم عربيا، يتكلم بلسانهم، وكانوا عالمين بأحواله وخلقه، وإنه من أشرفهم نسبا، وقد شرفوا ببعثه كما قال تعالى ژ**ﯓۇۆۈ**ژ وإن كانت دعوته للناس كافة. لزيادة انتفاع قومه بهذه البعثة.

ومن أوجه المنة أنه قادهم من الشرك إلى التوحيد ومن شر الأخلاق إلى أنبلها.

وتمثلت وظيفته ﷺ بتبليغ الوحي لهم بنوعيه القرآن والسنة، ورفع ما يطرأ عليهم من شبهات، وتبيين كيفية عبادتهم، وكشف أمور الغيب لهم، ودعوتهم إلى أعظم الأخلاق، وما فيه سعادة الدارين، وإن كانوا قبل بعثته لفي ضلال(1).

الفوائد:

1. إن بعثة رسول الله ﷺ كانت سنة للعرب خاصة، وللناس كافة.
2. وتمثلت وظيفته ﷺ بتبليغ الشرع كله وتهذيب النفوس وإصلاحها.
3. كون العرب قبل رسالة الإسلام في ضلال أي في شرك، وبعد عن الدين الصحيح فهداهم الله بهذا الدين ورفع قدرهم.

قال تعالى: ژ**ۋۅۅۉېﯦﭙ**□□□□□□□□□□□□□□□□□
□□**ىىيي**□□□ژ(1).

---

(1) ينظر: باختصار: تفسير البغوي: 368/1 و 80/9-82، والبيضاوي: 188/1.

معاني الألفاظ الغريبة:

أن يضلوك: أن يخطئوك في حكمك(2).

وما يضرونك من شيء: أي أنهم لا يتمكنون من إلحاق الضرر بك، لأنك معصوم، إذ تعهد الله نصر دينك(3).

من: زائدة.

شيء: في معنى المصدر فهو في موضع المصدر(4).

أي أنهم ما يضرونك ضراً.

ژ □ □ □ □ □ ژ: أي بين في كتابه ما فيه الحكمة التي لا يقع معها ضلال(5).

الإعراب:

ما بعد لولا: مبتدأ مرفوع عند سيبويه(6). والخبر محذوف لا يظهر. والمعنى على هذا الإعراب: ولولا فضل الله عليك ورحمته بأن دَلَّكَ على الحق **ژﯾﯿﭙ**□ژ عن الحق. إذ أوحى الله سبحانه إليك وأعلمك أمر السارق طعمة بن أبيرق الذي سرق الدرع، ورماها في دار اليهودي لتلحق التهمة باليهودي فبفضل الله ورحمته منعك الله أن تعمل بما همت به تلك الطائفة. قوله تعالى: ژ □ □ □ □ ژ: لأنهم يعملون عمل الضالين، والله جل وعلا يعصم نبيه من متابعتهم(7).

وفي جواب لولا وجهان:

---

(1) سورة النساء: الآية: 113.

(2) ينظر: معاني القرآن للفراء: 387/1، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: 104/2.

(3) ينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 104/2، وإعراب القرآن للنحاس: 487/1-488.

(4) ينظر: التبيان للعكبري: 388/1-389.

(5) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 104/2.

(6) ينظر: الكتاب: 279/1.

(7) ينظر: معاني القرآنو إعرابه للزجاج: 104/2 وإعراب القرآن للنحاس: 487/1-488

الوجه الأول: لهمت، وعلى هذا الوجه لم يكن ثمة هم بإضلاله من الطائفة.

الوجه الثاني: إن جواب لولا محذوف، تقديره: لأضلوك، ثم استأنف الكلام فقال: لهمت: أي لقد همت تلك الطائفة المشار إليها(1).

تعلم: في موضع نصب، لأنه خبر تكن(2).

المعنى العام:

لولا أن خص الله النبي محمدا ﷺ بالفضل وهو النبوة، لهمت طائفة أن يضلوك عن الحق، بأن تبرئ طعمة بن أبيرق السارق، وتلحق التهمة باليهودي، ولكن رجع وبال ذلك عليهم إذ تفضل الله على رسوله ﷺ بأن نبهه على ذلك فرجع الضرر عليهم. بسبب تعاونهم على الزور والبهتان، ولأن الله تبارك وتعالى عاصم لرسول الله ﷺ من إلحاق الكافرين الأذى به.

وأنى لهم أن يضلوك والقرآن ينزل عليك، وقد علمك الله ما لم تكن تعلم من الأحكام والشرائع وأمور الغيب(3).

الفوائد:

1. أن النبي ﷺ معصوم من الوقوع في الخطأ، لأن الله تبارك وتعالى يطلعه على حقائق الأمور، وأستار الغيب.
2. إن الكافرين غير قادرين على إضرار رسول الله ﷺ بل السوء يرجع إليهم، لأنهم متعاونون على الباطل.
3. إن فضل الله على النبي ﷺ كان كبيرا، إذ شرفه بالرسالة وسائر النعم الظاهرة والباطنة.

قال تعالى: ژ ﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝںڻ ژ(4).

معاني المفردات:

---

(1) ينظر: التبيان للعكبري: 1/388-389ز

(2) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1/487-488.

(3) ينظر: تفسير البغوي: 1/479، وتفسير الفخر الرازي: 11/40، وتفسير القرطبي: 5/382.

(4) سورة الأحزاب، الآية: 34.

الحكمة: قال أكثر المفسرين: إن الحكمة ههنا السنة: وقال بعضهم: هي من الآيات.

الإعراب:

خففت النون في قوله تعالى ژگـژ لأنها نون النسوة، فهي بمنزلة واو المذكر. تقول في المذكر: واذكروا، وثقلت في قوله تعالى ژگڳژ لأنها بمنزلة الميم والواو في قولكم: بيوتكم. لكن الواو يجوز حذفها لثقلها، ويدل عليها ما قبلها(1).

الفوائد المستنبطة من الآية كما بينها أبو بكر بن العربي المالكي:

1. آيات الله: القرآن الكريم.
2. آيات الله حكمة، وسنة رسوله ﷺ حكمة، والحلال والحرام حكمة، والشرع كله حكمة.
3. أمر الله أزواج النبي ﷺ أن يخبرن بما أنزل الله في القرآن، وما يعلمه من أحوال النبي ﷺ، وأقوله، وأفعاله، كي يقتدي بها المسلمون. وفيه دليل على قبول خبر الواحد من الرجال والنساء في الدين.
4. ليس النبي ﷺ ملزما بتبليغ ما ينزل عليه إلى الصحابة كلهم، بل قد يكتفي بتبليغ ذلك لأزواجه وحدهن، ولو لم يكن إعلامهن حجة لما فرض عليهن تبليغ ما علمن من القرآن والسنة(2).

وقال تعالى: ژ ٺٺٺٿٿٿٹٹٹڤڤڦ ڦڦڦڄژ(3).

معاني الألفاظ الغريبة:

الأميون: هم الذين لا يكتبون ولا يقرؤون.

أو هم الذين بقوا على ما كان عليه حال الأمة قبل تعلم الكتاب(4).

---

(1) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 315/2.

(2) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: 1538/3-1539.

(3) سورة الجمعة، الآية: 2.

(4) ينظر: باختصار: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 169/5-170.

يزكيهم: يدعوهم إلى طاعة الله ﷻ، فإذا أطاعوه فقد تزكوا وزكاهم(1).

الإعراب:

الذي: نعت لـــ (الملك) فإذا كان الملك مخفوضا فإن (هو): يعرب مبتدأ مرفوعا.

والذي: خبره

ويجوز أن يعرب (هو): مرفوعا على أنه توكيد للحكيم.

ويعرب (الذي): نعتاً للحكيم.

وقوله تعالى ژ **ٺٺٿٿ** ژ صلة الموصول.

يتلو عليهم: في محل نصب، تعرب صفة لـــ (رسولا)، أي تاليا عليهم(2).

ورأى ابن الانباري أن قوله تعالى (منهم) و (يتلو عليهم آياته) وما بعده من المعطوف عليه: في موضع نصب صفة لـــ (رسولا)(3).

القراءات: قريء في الأميين بحذف ياء النسب(4).

المعنى العام:

إن الله سبحانه بعث محمدا الأمي رسولا إلى قومه الذين كانوا أميين لا يقرؤون ولا يكتبون في غالبهم لحال البداوة وإن كونه ﷺ من جنس العرب ونفسهم كان ذلك أقرب إلى تصديق قومه له لمشاكلة حاله إلى أحوالهم. وقد طهرهم من الشرك والذنوب، وقادهم إلى ما فيه مصلحتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وعلمهم أحكام الدين آدابه بعد أن كانوا في ضلالة عن الحق.

ولا يصح قول من زعم أن النبي محمداً ﷺ قد بعثه إلى العرب خاصة، لأن تخصيص الشيء بالذكر لا يلزم منه نفي ما عداه. ويرد على فهمهم السقيم بقوله

---

(1) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 425/4.

(2) ينظر: المصدر السابق: 425/4.

(3) ينظر: البيان في غريب القرآن لابن الأنباري: 437/2.

(4) ينظر: تفسير الكشاف: 529/4-530.

تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ فهي تدل صراحة على أنه بعث للعرب والعجم معا(1).

الفوائد:

1. إن النبي ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وكذا حال جل أبناء قومه. وكونه أميا من أظهر الدلائل على صدق نبوته.
2. إن الله يختار الرسل من بين أقوامهم ليكون ذلك أقرب لملائمتهم.
3. وظيفة الرسل تبليغ دعوة الله، وإنقاذ الناس من الشرك والآثام إلى التوحيد والأخلاق الفاضلة.
4. على الإنسان إذا ما علم أنه في ضلالة فليترك الشر إلى ما هو خير وفضيلة.

المبحث الثالث

الحكمة التي آتاها الله النبيين

قال تعالى: ژ ﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛ ﮜ ﮝﮞﮟﮠ ﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛ ژ (2).

معاني الألفاظ الغريبة:

إصري: أي عهدي، وأصل الإصر الثقل(3). فسمي العهد إصراً لأنه يمنع من الأمر الذي أخذ له وثقل وشدد(4).

وإصري: بالكسر والضم، لغتان قريء بهما(5).

القراءات:

---

(1) ينظر: تفسير الفخر الرازي: 3/30، وتفسير القرطبي: 18/91-92.

(2) سورة آل عمران: الآية: 81.

(3) ينظر: تفسير المشكل من غريب القرآن للإمام مكي بن أبي طالب ص 50

(4) ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة الدينوري: 107.

(5) ينظر: التبيان للعكبري: 1/277.

قرأ (لما): بكسر اللام حمزة، وأهل الكوفة، وقرأ الباقون بفتحها. على أنه للتعليل، و (ما): مصدرية. أي لأجل الثاني إياكم[1].

وقرأ نافع (آتيناكم) بالجمع للتعظيم، وقرأ الباقون بلفظ التوحيد: أي (أتيتكم).

فمعنى الآية على قراءة نافع ويحيى بن وثاب أيضا:

أن الله سبحانه أخذ الميثاق للذين آتاهم، ثم جعل قوله تعالى: **ژ ﮪ ﮪ**ژمن الأخذ، كما تقول: أخذت ميثاقك لتعلمن، لأن أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف[2]. أي لما آتيناكم الكتاب والحكمة أخذ الميثاق[3].

الإعراب:

إذ: في محل نصب، تقدير الكلام: واذكر في أقاصيصك إذ أخذ الله... الخ[4].

من قرأ (لما) بكسر اللام، جعلها معلقة بـــ (أخذ).

ومعناها: أخذ الله ميثاق النبيين لما أوتوا من الكتاب والحكمة، ولا تكون (ما) إلا بمعنى الذي.

ومن قرأها بفتح اللام، جعلها لام الابتداء، وهو جواب لما دل عليه الكلام من معنى القسم، لأن أخذ الميثاق إنما يكون بالإيمان والعهود[5].

فاللام هنا أي في حالة قراءتها بالفتح بمثابة اليمين، أو أنها موطئة للقسم، و (ما) على هذا تعرب شرطية.

تفصيل آراء النحويين في إعراب (ما):

---

(1) ينظر: الإقناع في القراءات السبع لأبي جعفر الأنصاري: 621/2 ومعاني القرآن للزجاج: 437/1 والتبيان للعكبري: 277/1 والكشف: 351/1.

(2) ينظر: معاني القرآن للفراء: 225/1 وينظر معه تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، في الهامش.

(3) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 277/1.

(4) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 436/1 وإعراب القرآن للنحاس: 391/1.

(5) ينظر: البيان في غريب القرآن لابن الأنباري: 209/1.

ذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي ت 175هـ، إلى أن ما بمعنى الذي.

وقدر النحاس الكلام على رأي الخليل (للذي أتيتكموه). فالذي: مبتدأ مرفوع.

وخبر المبتدأ: من كتاب وحكمة.

ويجوز أن يكون الخبر (لتؤمنن به).

وقال الكسائي: ما للشرط.

فعلى قوله، موضعها نصب بـ (آتيتكم)(1).

ورجح الزجاج أن تكون (ما) للشرط والجزاء، لأن الشرط يوجب أن كل ما وقع من أمر الرسل فهذه طريقته، واللام دخلت في (ما) كما تدخل في (إنْ) التي للجزاء إذا كان في جواب القسم ويكون المعنى على هذا: أخذ الله الميثاق، أي استحلفهم للذي آتيتكم، والمعنى: أتيتكموه، (لتؤمنن به)(2).

واللام التي في (لتؤمنن به ولتنصرنه) لام القسم كأنه قال (والله لتؤمنن به)(3).

و (من) في قوله تعالى ژﭩﭪ ژ: لبيان الجنس. وقال الأخفش: هي زائدة(4).

الالتفاتات البلاغية:

1. في قوله تعالىژ ﭙ ﭚ ژ التفات من الغيبة إلى الحاضر، لأنه ورد قبله (ميثاق النبيين).
2. يوجد جناس الاشتقاق بين لفظ (اشهدوا) و(الشاهدين)، وهذا من المحسنات البديعية(5).

---

(1) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1/391-392، وينظر: البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري: 1/209-210، والتبيان للعكبري: 1/275-276.

(2) ينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 1/436.

(3) ينظر: معاني القرآن للأخفش: 1/413.

(4) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 1/391.

(5) ينظر: صفوة التفاسير: 1/187.

3. قال سعيد بن المسيب: قال الله تعالى للملائكة فاشهدوا عليهم كناية عن غير مذكور(1).

المعنى العام:

أخذ الله العهد أو الميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بكل رسول يجيء مصدقا لما معهم، وعليهم أن ينصروه إن أدركوا زمانه.

ومن المفسرين من جعل أخذ الميثاق من النبيين كان خاصا بإتباع النبي محمد ﷺ. ومنهم من جعله الميثاق الذي أخذه الله على أهل الكتاب أن يؤمنوا برسالة نبينا ﷺ أن لحقوا بزمانه. وقال بعضهم أراد الله أخذ الميثاق على النبيين وأممهم جميعا في الإيمان بنبوة محمد ﷺ فاكتفى بذكر الأنبياء، لأن العهد على المتبوع عهد على الإتباع.

وقد شهد الله أنه من الشاهدين على ذلك العهد أو الميثاق من باب التأكيد وتقوية الإلزام(2).

المطلب الأول

الحكمة التي آتاها الله آل إبراهيم عليه السلام

قال تعالى ژ ٹڤڤڦڤڦڦڄڄڃڃڄڄڇڇچچ ژ(3).

معاني المفردات:

أريد بالناس: النبي محمد ﷺ.

فقد حسدته اليهود إما لأن الله تعالى قد آتاه النبوة والكتاب، وقد آتاه الله من قبل إبراهيم عليه السلام، وهم مقرون بهذا، فلماذا يحسدون غيرهم على ما آتاهم الله من فضله.

---

(1) ينظر: تفسير البغوي: 322/1.

(2) ينظر: تفسير البغوي: 322/1.

(3) سورة النساء: الآية: 54.

وقيل حسدته اليهود لكثرة النساء، فزعموا أنه ﷺ ليس له من هم إلا النساء. بينما كان لداود ﵇ مائة امرأة، ولسليمان بن داود 8 تسعمائة امرأة، أو أكثر من ذلك ما بين حرة ومملوكة. والله أعلم بحقائق هذه الأرقام.

ولكن بلا شك أنهم نكحوا أكثر مما نكحه النبي ﷺ من النساء، فلما تليت عليهم هذه الآية كذب بعضهم، وصدق بعضهم(1).

ولعل الراجح من المراد بالحكمة في هذه الآية النبوة، لأنها أهم أمر حسد عليه النبي ﷺ.

الالتفاتات البلاغية:

1. يوجد مجاز مرسل في قوله تعالى ژ**ٹڤ**ژ، ويراد بالناس محمد ﷺ، من باب تسمية الخاص باسم العام، إشارة إلى انه جمعت فيه كمالات الأولين والآخرين.
2. يوجد جناس الاشتقاق، وهو من المحسنات البديعية في قوله تعالى (آتاهم) و (آتينا) و (آتيناهم)(2).

المعنى العام:

إن اليهود قد حسدوا رسول الله محمداً ﷺ على ما آتاه الله من النبوة، وقوة الأصحاب، مثال العزة والتمكين وحرموا منها. فذكرهم الباري تبارك بالذي وهبه لأنبيائهم من النبوة والملك.

وإذا أريد بأنه ﷺ قد حسد لما آتاه الله من كثرة النساء، فإن داود وسليمان قد نالا أكثر مما حصله النبي ﷺ في هذا الجانب(3).

---

(1) ينظر: معاني القرآن للفراء: 257/1، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة: 129 ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: 64/2، وإعراب القرآن للنحاس: 464/1، وتفسير المشكل من غريب القرآن للإمام مكي بن أبي طالب: 62.

(2) ينظر: صفوة التفاسير: 259/1.

(3) ينظر: باختصار: تفسير البغوي: 442 وتفسير الفخر الرازي: 137/10.

حرمة الحسد، لكونه من أمراض القلوب، وإن العلاج منه أن ينظر المرء إلى ما آتاه الله من فضل ليتذكر نعم الله الكثيرة عليه.

المطلب الثاني

الحكمة التي آتاها الله لداود ﵇

قال تعالى ژ ﭨﭩ ﯓ ۀ ﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝ ژ (1).

مناسبة الآية لما قبلها:

لما واجه المؤمنون من أصحاب طالوت وهم قلة، عدوهم أصحاب جالوت وهم كثرة ژ ﮕﮖﮗﮘﮙ ژ أي أنزل علينا صبراً مـــــــــن عندك ژ ﮚﮛ ژ، أي في لقاء الأعداء، وجنبنا الفرار والعجز ژ ﮜﮝﮞﮟ ژ (2).

معاني الألفاظ:

فهزموهم: فكسروهم، وردوهم وقهروهم بنصر الله لهم، أصل الهزم في اللغة كسر الشيء وثني بعضه على بعض.

ژ ﮧﮨﮩ ژ: أي آتى الله داود ﵇ ملك طالوت، ونبوة شمعون، وقيل: ما اجتمعت بنو إسرائيل على ملك قط قبل داود.

وظاهر الآية يدل على أن داود حين قتل جالوت آتاه الله الملك والنبوة، وقال الأكثرون: بأن حصول الملك له تأخر عن ذلك الوقت سبع سنين على ما قاله الضحاك(3).

والمراد من الحكمة في الآية على رأي بعضهم العلم، وقيل العلم مع العمل أو هي وضع الأمور مواضعها على، الصواب والصلاح، وقيل.

وقال بعض من فسر الحكمة بالنبوة: آتى الله النبوة داود ﵇ جزاء على ما فعل من الطاعة العظيمة.

---

(1) سورة البقرة: الآية: 251.

(2) ينظر: تفسير ابن كثير: 1/277-278.

(3) ينظر: تفسير الفخر الرازي: 7/203-204.

وقال الجماهير: إن النبوة لا يجوز جعلها جزاء على الأعمال، بل ذلك محض التفضل والأنعام. قـــال تعالى ژ **چچچچچڍ**ژ (1).

لذا فالنبوة وهبية، وليست كسبية، أي أنها هبة من الله يمنحها الله لمن يشاء من عباده، ممن علم بواسع علمه أنه يستحق درجة النبوة فيقدمها له، ولا تحصل بالجهد والاجتهاد والرياضة(2).

ومعنى قوله تعالى ژ **ھھے**ژ ذكر المفسرون عدة أقوال في الشيء الذي علمه الله لداود ﵇.

فقال الكلبي وآخرون: يعني صنعة الدروع، إن كان يصنعها ويبيعها، وما كان يأكل إلا من عمل يده.

وقيل: السر، وكلام الدواب، ومنطق الطير.

وقيل: هو الزبور.

وقيل: هو الصوت الطيب والألحان، إذ لم يعط الله أحداً من خلقه مثل صوت داود من حيث الحسن.

ژ**ھے**ژ: أي مما شاء، إذ قد يوضع المستقبل موضع الماضي(3).

ومعنى قوله تعالى ژ**ےۓڭڭڭڭۇۇ**ژقيل فيها قولان:

القول الأول: لولا ما أمر الله به المسلمين من ضرب الكافرين لفسدت الأرض.

القول الثاني: لولا دفع الله الكافرين بالمسلمين لكثر الكفر، فنزلت بالناس السخطة، واستؤصل أهل الأرض(1).

---

(1) سورة الحج: الآية: 75.

(2) ينظر: تفسير الرازي: 203/6-304.

(3) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للنحاس: 332/1، وإعراب القرآن للنحاس: 327/1، وتفسير البغوي: 232/1-235، وتفسير الفخر الرازي: 203/6-204، وتفسير القرطبي: 259/3، وتفسير البيضاوي: 132/1.

والرأي الراجح الذي اختاره جماهير المفسرين في الناس المدفوع بهم الفساد هم المؤمنون يدفع الله بهم شر الكافرين، وإلا لفسدت الأرض أي هلكت(2). معنى قوله تعالى ژۈۈۇۋژ: أي من منهِ عليهم ورحمته بهم أنه يدفع عنهم بعضهم بعضا، وله الحكم والحكمة والحجة على خلقه في جميع أفعاله وأقواله(3).

القراءات:

جوز بعضهم قراءة الآية هكذا: ولولا دفاع الله(4). وبها قرأ نافع(5). وأهل المدينة ويعقوب. ومن قرأ بالألف قال: قد يكون الدفاع من واحد مثل قول العرب: أحسن الله عنك الدفاع.

واختار أبو عبيد قراءة الجمهور ژ ئۓڭڭژ. وبه قال ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي وابن عامر اليحصني.

وأنكر دفاع، وقال: لأن الله تعالى لا يغالبه أحد.

وقال النحاس: القراءة بدفاع حسنة جيدة،

وفيها قولان.

وقال أبو حاتم الرازي: دافع ودفع واحد.

وذكر سيبويه أن يكون دفاع مصدر دفع(6).

---

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 333/1. وقارن ذلك بما في الكشاف: 296/1، وتفسير البغوي: 235/1-236، وتفسير القرطبي: 209/3، وتفسير البيضاوي: 132/1، وتفسير ابن كثير: 277/1-278.

(2) ينظر: تفسير القرطبي: 259/3.

(3) ينظر: تفسير ابن كثير: 277/1-278.

(4) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 333/1، وإعراب القرآن للنحاس: 327/1.

(5) ينظر: الإقناع: 610/2.

(6) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 328/1. وينظر لزيادة المعلومات هامش معاني القرآن للأخفش بقلم محققه د. عبد الأمير محمد أمين: 378/1-379.

ويقرأ: دفاع بكسر الدال والألف، فيحتمل أن يكون مصدر دفعت، ويجوز أن يكون مصدر دافعت(1).

وقريء دفع الله، ودفاع الله.

فيقال: دفع دفعاً ودفاعاً، كما يقال كتب يكتب وكتاباً.

ويجوز أن يكون (دفاعاً) مصدر دافع دفاعا، كما يقال: ضارب ضراباً. وكل واحد من المصدرين مضاف إلى الفاعل(2).

الإعراب:

(فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ): حال، أو مفعول به(3).

دفع: مبتدأ مرفوع عند سيبويه(4).

(الله) في محل رفع بالفعل، تقديره: لولا أن يدفع الله.

الناس: مفعول به للمصدر المضاف.

بعضهم: بدل من الناس للتفسير، وهو بدل بعض من كل.

ببعض: في موضع المفعول الثاني عند سيبويه(5)، يتعدى إليه الفعل بحرف الجر، مثل قولك: ذهبت بزيد. فزيد: في موضع مفعول(6).

المعنى العام:

إن داود ﷺ الذي كان مع جيش طالوت (جيش المؤمنين) قد قتل جالوت الطاغية بحض من طالوت إذ وعده أن يشاطره ماله، وأن يزوجه ابنته، ويشركه في

---

(1) ينظر: التبيان للعكبري: 200/1.

(2) ينظر: التبيان في غريب القرآن لابن الأنباري: 67/1.

(3) ينظر: التبيان للعكبري: 200/1.

(4) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 333/1.

(5) ينظر: الكتاب لسيبويه: 279/1.

(6) ينظر: معاني القرآن للأخفش: 378/1-379 وينظر: معه الهامش بقلم المحقق وإعراب القرآن للنحاس: 327/1-328. والبيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري: 167/1، والتبيان للعكبري: 200/1.

أمره، فلما قتل داود جالوت بنصر الله وتأييده وفَّى طالوت لداود، ثم آل الملك لداود، مع ما وهبه الله من النبوة والعلم والقوة.

فلولا جهاد الأبرار لشر الأشرار لعم الفساد ودمر لأن الشر إن غلب كان الخراب والدمار، لكن الله ذو إنعام على العالمين، إذ لم يمكن الظلم أن يعلو.

والرأي الراجح الذي اختاره جماهير المفسرين في الناس المدفوع بهم الفساد هم المؤمنون يدفع الله بهم شر الكافرين، وإلا لفسدت الأرض أي هلكت(1).

الفوائد المستنبطة من الآية:

1. إن الفئة القليلة ربما ينصرها على الفئة الكثيرة الطاغية.
2. إن النبوة ليست أمرا مكتسبا وإنما هي هبة يهبها الله لمن يشاء من عباده المقربين.
3. يجوز الجمع بين الملك والنبوة قبل الإسلام.
4. إن الله يدفع شر الأشرار بقوة المؤمنين وإلا لاستشرى الفساد، وعم الضلال.
5. استحباب طلب العلم النافع للدارين.
6. إن نعم الله وأفضاله على عباده كثيرة، فهو يدافع عن الذين آمنوا، ويدفع عنهم شر عدوهم بتمكين منه.

وقال تعالى، وهو يبين نعمه على نبي الله داود عليه السلام: ژ**ڨڤڦڨڄ**ژ(2).

معاني الألفاظ:

شددنا: قوينا، فقيل: كان يحرس محرابه ثلاثة وثلاثون ألفا من الرجال في كل ليلة.

وقيل في سبب وصف الله له بهذا: إن رجلا استعدى إليه برجل، فادعى عليه أنه أخذ منه بقراً، فأنكر المدعي عليه، فسأل داود المدعي البنية فلم يقمها. فرأى

---

(1) ينظر: فقير القرطبي: 3/260-261، وصفوة التفاسير: 1/134. إذ رأى أن سائر المفسرين يرون أنه لو لم يدفع الله بالمؤمنين عن الكفار لهلكت الأرض.

(2) سورة ص ، الآية: 20.

داود في منامه أن الله يأمر أن يقتل المدعى عليه. فتثبت داود، وقال هو منام، فأتاه الوحي بعد ذلك أن يقتله فأحضره، ثم أعلمه أن الله أمره بقتله، فقال المدعى عليه:

إن الله ما أخذني بهذا الذنب، وإني قتلت أبا هذا غيلة، فقتله داود، فذلك مما كان عظم الله هيبته، وشدد ملكه به[1].

وهذه الحادثة تدل على أن الأنبياء مأمورون بتنفيذ ما يأمرهم الله به في المنام، كالذي حصل لإبراهيم ﵇ عندما أمر بذبح ولده في المنام، فأراد تنفيذ أمر الله له بعزيمة قوية، كما أشار إلى هذا قوله تعالى ﴿ژ□□□ **ىىيي**□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□...**الخ**﴾[2].

أما سائر البشر من غير النبيين فلا يصح أن يبنى على رؤاهم حكم شرعي، لأن الشيطان قد يعتريهم فيضللهم، أو يخلط عليهم أمورهم.

فصل الخطاب: قيل فيها أقوال عدة:

1. أما بعد. وقيل: أول من قال بها نبي الله داود ﵇، ولو سلمنا أنه أول من قالها فعلا، فإنه لم يكن ذلك منه بالعربية علة هذا النظم، وإنما كان بلسانه، ويروي أن أول من قالها من عرب الجاهلية (سحبان وائل).
2. الشهود والإيمان، أو أن يحكم بالبينة واليمين، لأن القطع في الحكم بهم.
3. الفصل بين الحق والباطل.
4. أو هو علم القضاء، وهو نوع مجرد من العلم، فقد يكون الرجل بصيرا بأحكام الدين، لكنه لا يقوم بالقضاء فيها.
5. وقيل: هو الإيجاز بجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل، وهذا للعرب دون العجم، ولمحمد ﷺ خاصة الذي أوتي جوامع الكلم دون العرب[3].

---

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 324/4.

(2) سورة الصافات، الآية: 102.

(3) ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: 378 ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: 324/4-325، وتفسير المشكل من غريب القرآن للإمام مكي: 210. وينظر: أحكام القرآن لابن العربي: 1627/4-1629.

الإعراب:

ملكه: مفعول به للفعل شددنا.

الحكمة: مفعول به ثان للفعل آتى، فإنه يأخذ مفعولين مثل. الفعل: أعطى.

وفصل الخطاب: الواو حرف عطف.

فصل: معطوف على الحكمة منصوب، وهو مضاف.

الخطاب: مضاف إليه مجرور(1).

المعنى الإجمالي:

بين تعالى فضائله على داود عليه السلام إذ قوى ملكه فكان يحرسه جمع غفير من الجنود كل ليلة. وإن الله تعالى قد أطلعه على بعض الحقائق التي لم يكن قد شهدها فعظم الله هيبته في نفوس أتباعه فوهبه الله الزبور، وجعله يجمع بين العلم والعمل لتحقيق مصالح الدنيا والآخرة. وآتاه الله المقدرة على الفصل بين الحق والباطل، أو أنه مكنه من علم القضاء بما لم يسبق إليه مع الإيجاز في القول، والمقدرة على تدابير الملك(2).

المطلب الثالث

الحكمة التي آتاها الله عيسى عليه السلام

قال تعالى، وهو يتحدث عن عيسى عليه السلام: ژڃڃڄڄژ(3).

القراءات:

قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي (ونعلمه) بالنون، يردونه على قوله تعالى ژ ۇۆۈۉۊژ(4) والقراءة بالياء أولى وأقرب(5) لقوله تعالى ژۆۈۉۊۋووژ(1).

---

(1) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 459/2 بتصرف، ولولا أن يذكر النحاس هذا الإعراب لما ذكرناه، لأنه واضح.

(2) ينظر: تفسير البغوي: 52/4 وتفسير الفخر الرازي: 188/26، وتفسير البيضاوي: 309/2.

(3) سورة آل عمران، من الآية: 48.

(4) سورة آل عمران، الآية: 44.

(5) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 378/1.

ويقرأ بالياء حملا على يبشرك(2).

وبها قرأ نافع وعاصم(3).

الإعراب:

قال الأخفش: ويعلمه: في موضع نصب حال معطوفة على قوله تعالى (وجيهاً)(4).

المعنى الإجمالي:

أخبر تعالى عن تمام بشارة الملائكة لمريم بابنها عيسى ﷺ إن الله قد علمه الكتابة أو الخط، وعلمه العلم والفقه، أو السداد في القول والعمل، أو سنن الأنبياء من قبله، أو علمه العلوم وتهذيب الأخلاق، لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته، والخير لعمل به وعلمه التوراة، هو الكتاب الذي أنزل على موسى بن عمران ﷺ وعلمه الإنجيل وهو الكتاب الذي أنزله إليه. وكان عيسى ﷺ يحفظ التوراة والإنجيل معا(5).

وقال تعالى: ژ ﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽ ژ(6).

بيان غريب الألفاظ:

أيدتك بروح القدس: على وزن فعلتك، أي قويتك وأعنتك.

وكهلا: ابن ثلاثين سنة، وحكي: أن الكهل ابن أربعين إلى الخمسين(1).

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 47.

(2) ينظر: التبيان للعكبري: 261/1.

(3) ينظر: كتاب الإقناع: 620/2.

(4) ينظر: معاني القرآن للأخفش: 408/1 وينظر إعراب القرآن للنحاس: 378/1 والتبيان للعكبري: 261/1.

(5) ينظر: تفسير البغوي: 302/1، وتفسير الفخر الرازي: 59/8، وتفسير ابن كثير: 344/1، وصفوة التفاسير: 184/1.

(6) سورة المائدة الآية: 110.

وإذ علمتك الكتاب: أي الخط (والحكمة) يعني الفقه(2).

وفسرها الطبري بأنها: الفهم بمعاني الكتاب أو الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى ﷺ(3).

في المهد: أي صبيا(4).

معاني المفردات:

أما نعمته على والدته فإنه اصطفاها، وطهرها، واصطفاها على نساء العالمين، وكان رزقها يأتيها من عنده، وهي في محرابها.

وقوله: إذ أيدتك بروح القدس: أي أيدتك بجبريل، إذ حاولت بنو إسرائيل قتله، وجائز أن يكون أيده في أحواله كلها، لأن في الكلام دليلاً على ذلك.

وقوله تعالى ژ **ﭽﭾﭿ** ژ: أي أيدتك مكلماً الناس في المهد، (وكهلا)، أي أيدتك كهلا.

وجائز أن يكون (وكهلا) محمولا على تكلم. كأن المعنى أيدتك مخاطباً الناس في صغرك، ومخاطبا الناس كهلا(5).

القراءات:

قرأ مجاهد: أيدتكم على وزن أفعلتك من الأيد.

وقال الكسائي: فاعلتك، وهي تجوز، أي: عاونتك(6).

---

(1) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 49/2.

(2) ينظر: معاني القرآن للفراء: 325/1 وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة: 148.

(3) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري: 83/7.

(4) ينظر: معاني القرآن للفراء: 325/1.

(5) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 218/2-219.

(6) ينظر: معاني القرآن للفراء: 325/1، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: 219/2 والتبيان للعكبري: 471/1.

وقرأ ابن محيصن: **ژﭬﭫژ**وكذا روي عن مجاهد وروى هذه القراءة الحسين بن علي الجعفي عن أبي عمرو(1).

الإعراب:

ژٿٿٹژ: يجوز أن يكون بدلا من يوم في الآية السابقة لهذه الآية، والتقدير: أذكر إذ يقول.

ووقعت هنا إذ، وهي للماضي على حكاية الحال، ويجوز أن يكون التقدير: أذكر إذ يقول(2).

ژ ٹڈڈ ژ: يجوز أن يقدر على الألف فتحة لأنه وصف بابن، وهو بين علمين.

ويجوز أن يقدر على الألف ضمة، وهي مثل قولك (يا زيد بن عمرو بفتح الدال وضمها).

فإذا قدرت الضمة على الألف جاز أن نجعل ابن مريم صفة، أو بياناً، أو بدلاً(3).

إذ أيدتك: العامل في إذ (نعمتي)، ويجوز أن يكون حالا من نعمتي، وأن يكون مفعولاً به على السعة(4).

تكلم الناس: في موضع الحال من الكاف في أيدتك(5).

في المهد: ظرف للمتكلم، أو إدخال من ضمير الفاعل من تكلم.

وكهلاً: عطف عليه، ويجوز أن يكون معطوفاً على الموضع(6).

وإذ علمتك، وما بعدها: معطوفة على إذ أيدتك(1).

---

(1) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 49/2.

(2) ينظر: التبيان للعكبري: 471/1.

(3) ينظر: التبيان للعكبري: 471/1. وقارن بإعراب القرآن للنحاس: 49/2.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 471/1.

(5) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 49/2، والتبيان للعكبري: 471/1.

(6) ينظر: المصدر الأول نفسه، والثاني نفسه: 471/2-472.

المعنى العام للآية:

يحذر الله تعالى عباده من يوم القيامة حين يجمع الله الرسل فيقول لهم ماذا أجابتكم أممكم في الدنيا إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أعنتك بروح القدس في حال تكليمك الناس في المهد وكهلا، وعلمتك الخط، وفهم معاني الإنجيل، وغير ذلك مما جرى على يدك من المعجزات، وفوارق العادات ومن ذلك خلقي إياك من أم بلا ذكر، وعلى والدتك إذ جعلتك برهانا على براءتها، وعبر تعالى بصيغة الماضي (إذ قال) تقريبا للقيامة أو لأن ما هو آت قريب. أو لكمال تحققها(2).

وقال تعالى: **ﮋﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﮊ**(3).

معاني المفردات:

البينات: الآيات التي تعجز عنها المخلوقات.

الحكمة: أي الإنجيل.

بعض الذي تختلفون فيه: أي كل الذي تختلفون فيه، وهذا مذهب أبي عبيدة. فقد استدل ببيت شعر للبيد بن ربيعة:

تراك أمكنة إذا لم أرضها
أو يخترم بعض النفوس حمامها(4)

ولا حجة في ها البيت لأبي عبيدة، لأن معنى: أو يخترم بعض النفوس، إنه يعني نفسه، وبعض النفوس.

---

(1) ينظر: جامع العكبري: 1/471-472.

(2) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري: 7/82-83 وصفوة التفاسير: 1/344-345.

(3) سورة الزخرف، الآية: 63.

(4) ينظر: شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: 331.

والصحيح: أن بعض الشيء لا يكون في معنى كله. فهذا القول مردود عند جميع النحويين، الذي جاء به عيسى ﭺ إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه على الحقيقة(1).

المعنى العام:

لما أتى عيسى ﭺ بني إسرائيل بالمعجزات أو بآيات الله الواضحات، قال لهم أتيتكم بالإنجيل، فقد جعلني الله نبيا ورسولا إليكم. لأبين لكم وجب معرفة ذات الله وصفاه وأفعاله، وقد جاءهم ليظهر لهم وجه الحق في بعض ما كانوا يختلفون فيه مما يتعلق بالديانات والتكاليف الشرعية.

ولم يبين لهم ما كانوا يختلفون فيه كله، لأن بعض ما يختلف فيه الناس لا حاجة بهم إلى معرفته، فلا يجب بيانه ولاسيما مما يتعلق بأمور الدنيا.

ولما بين لهم ما كانوا بأمس الحاجة إليه حذرهم من الكفر والإعراض عن الدين، ودعاهم لطاعته فيما دعاهم إليه من التوحيد والأخلاق والالتزام بشريعة موسى ﭺ(2).

المبحث الرابع

الحكمة التي آتاها الله غير النبيين كلقمان الحكيم

قال تعالى: ژﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢژ(3).

يجدر بنا قبل الخوض في بيان الحكمة التي وهبها الله لقمان، أن نذكر أقوال العلماء في لقمان:

فذكر أهل اللغة أن لقمان لا ينصرف للتعريف، والألف والنون الزائدتين. فأشبه عمران، على وزن فعلان.

---

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 4/417-418، وإعراب القرآن للنحاس: 4/118-119.

(2) ينظر: تفسير الكشاف: 4/262، وتفسير الفخر الرازي: 27/224، وتفسير القرطبي: 16/107-108، وتفسير البيضاوي: 2/376.

(3) سورة لقمان، الآية: 12.

ويجوز أن يكون لقمان أعجميا فلا ينصرف للعجمة والتعريف(1).

وإن وافق العربي فإن لقماناً مشتق من اللقم(2).

واختلف المؤرخون والنسابة في أصله، وهل هو نبي أولا؟

1. فقال سعيد بن المسيب ت 94هـ: كان لقمان أسود من سودان مصر حكيما، ولم يكن نبياً.
2. وقيل: كان حبشيا غليظ المشافر، مشقق الرجلين، ولكن الله آتاه الحكمة.
3. وذكر المؤرخون أنه كان لعاد لقمان الأكبر، ولقمان الأصغر، وليس أحد منهما لقمان الحكيم الذي تذكره العرب.
4. إنه كان من النوبة، قصيرا أفطس.
5. وقال قتادة بن دعامة السدوسي (ت118هـ): خيره الله بين النبوة والحكمة، فاختار الحكمة، أتاه جبريل وهو نائم، فقذف عليه الحكمة، فأصبح ينطق بها. ولم يختر النبوة، لأنه خشي أن يضعف عن أداء مهام النبوة الشاقة.

   ولكننا لا نرتضي هذا الرأي الذي زعمه قتادة رحمه الله، مع جلالة قدره، لأن النبوة إنما هي اصطفاء من الله لأحد من عباده، فمن علم الله أن ذلك العبد يستحق درجة النبوة، أو أنه أهل لتحمل أعبائها. فهي اختيار من الله سبحانه، وليست كسبية كما يزعم بعض الفلاسفة اليونانيين، ودل على ما ذهبنا إليه قوله تعالى: **ژﭼﭽﭾﭿﮀژ**(3).
6. وزعم عكرمة مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه كان نبيا. ولكن هذا بخلاف رأي الجمهور، ولم يستند على دليل بين.
7. وقيل: كان رجلا صالحاً.

وكذا اختلفوا في مهنته على النحو الآتي:

---

(1) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 283/2، والبيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري: 255/2.

(2) ينظر: التبيان للعكبري: 1044/2.

(3) سورة الحج، آية: 57.

1. فقال بعضهم: إنه كان نجارا.
2. وقيل: كان خياطا.
3. وقيل كان راعيا. فروي أن إنسانا وقف عليه، وهو في مجلسه فقال له: الست الذي كنت ترعى معي في موضع كذا وكذا. قال: بلى، قال: فما بلغ بك ما أرى؟ فقال: صدق الحديث، والصمت عما لا يعنيني.
   وقيل: إن لقمان قال له: قدر الله، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وترك ما لا يعنيني⁽¹⁾.

الرأي المختار في لقمان:

إن القدر المشترك بشأن لقمان مما لا يختلف عليه اثنان من علماء المسلمين، إنه كان حكيما لقوله تعالى **ژﭑﭒﭓژ**⁽²⁾.

وأفادت بعض الآثار أنه كان حبشيا، ومن الجائز أن يكون نبيا، لكن هذا الأمر لم يأت به دليل صريح من القرآن والسنة، كما لم تجمع عليه الأمة. ومن الجائز أن يكون عالما صالحا حكيما. وهذا ما يميل إليه القلب. لأنه لو كان نبيا لأشتهر عده بين الأنبياء عليهم صلوات ربي وسلامه. وتناول العلماء سرد سيرته معهم.

مقصود سورة لقمان:

إثبات الحكمة للكتاب (القرآن الكريم) الذي يستلزم حكمة منزلة سبحانه في أقواله وأفعاله، وقصة لقمان المسمى بها السورة دليل بين على ذلك⁽³⁾.

وفي سورة لقمان المنة عليه بما أعطي من الحكمة⁽⁴⁾.

---

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 195-196، وأحكام القرآن لابن العربي باختصار: 1495/3-1496.

(2) سورة لقمان الآية: من الآية: 12.

(3) ينظر: مصاعد النظر: 356/2.

(4) ينظر: بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي: 370/1.

الإعراب:

ژٱپپژ: لقمان والحكمة مفعولان للفعل آتى(1). **ژپپژ** فيه تقديران:

التقدير الأول: أن تكون (أن) بمعنى أي مفسرة، أي قلنا له: اشكر لله.

والتقدير الثاني: أنها في موضع نصب، والفعل داخل في صلتها كما حكى سيبويه: (كتبت إليه أن أقم)، إلا أن هذا الوجه بعيد.

ژپ ژ : الفعل المضارع يشكر جزم بأداة الشرط الجازمة (من) ويجوز رفع الفعل يشكر، إذا جعلنا (من) بمعنى الذي(2).

والمراد من الحكمة التي أوتيها لقمان ؈:

---

(1) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 283/2.

(2) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 283/2-284، وقال الأخفش للرأي الأول، ينظر: معاني القرآن للأخفش: 658/2، وقارن بمعاني القرآن وإعرابه للزجاج: 195/4-196.

رأى الأصفهاني أنها تعني: معرفة الموجودات، وفعل الخيرات، وهذا الذي وصف به لقمان في قوله عز وجل: ژٱپپژونبه على جملتها بما وصفه به(1).

المعنى الكلي للآية:

يؤكد تعالى أنه قد وهب لقمان الحكمة، وهي الفقه، أو العلم والعمل به، والإصابة في الأقوال والأفعال بما يوافق الحق، ومن مقتضيات الحكمة أن يكون الإنسان شاكرا لأنعم الله عليه، لذلك دعاه ربه أن يشكر نعم الله عليه إذ خصه بالحكمة، وإن كان تعالى غنيا عن شكر الشاكرين، وأنه لا يُضَرُّ بكفر الكافرين وإنما يعود شكر الإنسان بالنفع لنفسه لأن الله سبحانه غني عن خلقه فهو تعالى محمود في نفسه سواء شكره الناس أم جحدوه، وعبر تعالى عن الشكر بصيغة المستقبل لأن الشكر ينبغي أن يتكرر، وتحدث سبحانه عن الكفر بصيغة الماضي لأن الكفر ينبغي أن يقطع(2).

---

(1) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: 126، وإذا أردت معرفة شيء من حكم لقمان التي نسبت إليه فينظر: أحكام القرآن لابن العربي: 3/1495-1496، وكتاب جواهر البيان في مواعظ الحكيم لقمان لجميل إبراهيم حبيب، ومما رواه الإمام مالك (رحمه الله) بالبلاغات: أن لقمان الحكيم أوصى ابنه، فقال: يا بني جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يُحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء. الموطأ للإمام مالك: 849، كتاب الجامع، ما جاء في طلب العلم.

(2) ينظر: تفسير البغوي: 3/490-491، وتفسير الفخر الرازي: 25/145-146، وتفسير القرطبي: 14/62.

المبحث الخامس

الحكمة في الدعوة إلى اللّه تعالى

قال تعالى: ژ ﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞژ (1).

سبب نزول الآية:

روى الواحدي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما انصرف المشركون عن قتلى أحد، انصرف رسول الله ﷺ، فرأى منظرا ساءه، ورأى حمزة قد شق بطنه، واصطلم أنفه، وجدعت أذناه فقال: لولا أن يحزن النساء أو يكون سنة بعدي لتركته حتى يبعثه الله تعالى من بطون السباع والطير، لأقتلن مكانه سبعين رجلا منهم، ثم دعا ببردة فغطى بها وجهه، فخرجت رجلاه، فجعل على رجليه شيئا من الأذخر، ثم قدمه وكبر عليه عشرا، ثم جعل يجاء بالرجل يوضع وحمزة مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة، وكان القتلى سبعين، فلما دُفنوا وفُرغ منهم نزلت الآية: ژ ﮩﮪﮫﮬژ... **إلى قوله** ژ□□□□□ژ، ولم يمثل بأحد(2).

معاني المفردات:

الحكمة: فسر الزجاج الحكمة في هذه الآية بالنبوة،

والموعظة الحسنة: بالقرآن. وقيل: هي الدعاء إلى الله بالترغيب ژ ﮯﮰﮱژ: أي جادلهم غير فظ ولا غليظ القلب في ذلك والمراد من هذه العبارة ألن جانبك لهم(3).

وقيل فيها عدة أوجه أخرى منها:

1. جادلهم بالقرآن.
2. جادلهم بـ (لا إله إلا الله).

وهذان القولان عن ابن عباس رضي الله عنهما.

---

(1) سورة النحل، الآية: 125.

(2) ينظر: أسباب النزول للواحدي: 232-233.

(3) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 223/2. وتفسير البغوي: 90/3 وتفسير ابن كثير: 572/2.

3. أعرض عن أذاهم، وهو قول مجاهد(1).

والمعنى الإجمالي للآية: أن الله تعالى أمر رسوله محمداً ﷺ أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي:

1. الحكمة.
2. الموعظة الحسنة.
3. والمجادلة بالطريق الأحسن.

ولما عطف الله هذه الطرق الثلاثة بعضها على بعض دل على أنها طرق متغايرة.

ومعناها: أدع الأقوياء الكاملين إلى الدين الحق بالحكمة، وهي البراهين القطعية اليقينية.

وعوام الخلق بالموعظة الحسنة، وهي الدلائل اليقينية الظنية. والتكلم مع المشاغبين بالجدل على الطريق الأحسن والأكمل.

وقصر تعالى الدعوة بالحكمة وهي الدلائل القطعية وبالموعظة الحسنة، وهي الدلائل الظنية.

أما الجدل فليس من باب الدعوة، بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدعوة، وهو الإلزام والإفحام.

لهذا لم يقل سبحانه أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الأحسن، بل قطع الجدل عن باب الدعوة لأنه لا تحصل به الدعوة.

ثم نبه تعالى إلى أن الداعية مكلف بالدعوة، أما أمر هداية الناس إلى الحق فلا يتعلق ذلك بأحد من الدعاة، بل هو موكول إلى الله الهادي إلى سواء السبيل.

وإنه تعالى عليم بالضالين عن الحق، كما أنه أعلم بمن اهتدى لعلمه بسرائر أثر الناس(2).

---

(1) ينظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: 386-387 وتفسير البغوي: 90/3.

(2) ينظر بتصرف: تفسير الفخر الرازي: 141/20.

هل نسخ قوله تعالى: ژ ےےئےژ؟

ذهب كثير من المفسرين، منهم ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك، إلى أن الآية منسوخة بآية السيف(1).

فرأى هؤلاء أن مجادلة الكافرين بالتي هي أحسن، كان قبل نزول سورة براءة حين أُمر النبي ﷺ بقتال من قاتله، ومُنع من الابتداء بالقتال، فلما أعز الله الإسلام وأهله نزلت سورة براءة، وأمروا بالجهاد ونسخت هذه الآية.

ولكن في هذا بعد، لأن المجادلة لا تنافي القتال، ولم يقل له: اقتصر على جدالهم. فيكون المعنى جادلهم، فإن أبوا فالسيف، وقال آخرون، منهم النخعي، مجاهد، وابن سيرين، والثوري، إن الآية محكمة لم تنسخ، وإن النسخ لا يتوجه(2).

المبحث السادس

من معاني الحكمة الاعتبار بحال الأمم السالفة

قال تعالى: ژۆۈۋېې□□□□□□□□ژ(3).

معاني المفردات:

الأنباء: هي الأخبار العظام، فلم يرد في القرآن النبأ والأنباء إلا لما له وقع.

والظاهر أن المراد أنباء الهالكين بسبب التكذيب، وقال بعضهم المراد بالأنباء: القرآن، وتقديره جاء في القرآن الأنباء.

وقيل قوله تعالى ژۆۈۋېژيتناول جميع ما ورد في القرآن من الزواجر والمواعظ معاً، وهذا أظهر لقوله تعالى ژې□ژ(4): أي متعظ(5).

وفسر مجاهد مزدجر بمعنى منتهى(1).

---

(1) يراد بها قوله تعالى في سورة براءة: الآية 29

(2) ينظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: 387، وتفسير البغوي: 3/90-91.

(3) سورة القمر، الآيتان: 4-5.

(4) ينظر: تفسير الفخر الرازي: 29/33.

(5) ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: 431، وإعراب القرآن للنحاس: 4/403، وتفسير المشكل من غريب القرآن للإمام مكي: 249.

ومزدجر: أصله عند سيبويه (مزتجر) على مفتعل من الزجر، وإنما أبدلت التاء دالاً، لأن التاء مهموسة، والزاي مجهورة، فثقل الجمع بينهما، فأبدلوا من التاء ما هو من مخرجها وهو الدال، لتوافق الزاي في الجهر⁽²⁾.

وقال الزجاج:

فهذه لا يفهمه إلا من أحكم كل العربية، وهذا في آخر كتاب سيبويه، والذي ينبغي أن يقال للمتعلم: إذا بنيت أفتعل أو مفتعل، مما أوله زاي، فأقلب التاء دالاً، نحو: أزدجر ومزدجر⁽³⁾.

حكمة: قيل يراد بها القرآن، يراد بذلك أن القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية في الزجر⁽⁴⁾.

بالغة: أي ليس فيها تقصير⁽⁵⁾.

النذر: جمع نذير⁽⁶⁾.

وقال القرطبي: ويجوز أن تكون بمعنى الإنذار أيضاً⁽⁷⁾.

الإعراب:

حكمة: مرفوع على وجهين:

أحدهما: أن يكون مرفوعا على البدل من (ما). في قوله تعالى **ژۉۋېٻٻ**□ ژ.

---

(1) ينظر: معاني القرآن للفراء: 403/2.

(2) ينظر: معاني القرآن للزجاج: 95/5 وإعراب القرآن للنحاس: 286/4 والبيان في غريب القرآن لابن الأنباري: 403/2.

(3) ينظر: معاني القرآن للزجاج: 95/5.

(4) ينظر: تفسير البغوي: 259/4.

(5) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: 286/4.

(6) ينظر: التبيان للعكبري: 1192/20.

(7) ينظر: تفسير القرطبي: 170-129.

وما: مرفوعة، لأنها فاعل (جاء).

وثانيها: أن يكون مرفوعا لأنه خبر مبتدأ محذوف، وتقديره هي حكمة بالغة(1).

وقريء حكمة بالنصب فيكون حالا، تقديره: جاءكم ذلك حكمة(2).

وقوله تعالى ژ□□□ژ

ما: فيه وجهان:

الوجه الأول: أن تكون ما استفهامية، ومعناها التوبيخ في موضع نصب بـ (تغني)، أي أي شيء تغني النذر.

الوجه الثاني: أن تكون نافية على تقدير حذف مفعول تغني، وتقديره: فما تغني النذر شيئا.

وحذفت الياء من تغني، والواو من (يدعو) إتباعاً لخط المصحف، لأنه كتب

---

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 85/5 والبيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري: 403/2 والتبيان للعكبري: 1192/2

(2) ينظر: تفسير الفخر الرازي: 33/29.

على لفظ الوصل، لا على لفظ الوقف(1).

المعنى الإجمالي للآيتين:

أي ولقد جاء هؤلاء المشركين من أخبار الأمم الذين فعلوا كفعلهم فاهلكوا ما فيه منتهى عما هم فيه(2).

الخاتمة

يمكننا أن نخلص من هذا البحث إلى ما يأتي:

1. إن أصل الحكمة وضع الشيء في موضعه.
2. وإن الحكمة من صفات الكمال، لذا وصف الباري سبحانه بها نفسه، ونعت بها أصفياء من خلقه وهم النبيون، كما ميز بعض عباده المقربين بها، وحث على الظفر بها.

ومما يراد بالحكمة الإصابة في القول والعمل، فتستلزم جمع العلم مع تطبيقه، وظهور أثر ذلك في السلوك الحسن، لأن كمال الإنسان في أن يتوصل إلى معرفة الحق لذاته، والخير لأجل العمل به. ومجموع ذلك يسمى حكمة.

والغاية من تعلم الحكمة تجنب الوقوع في الأخطاء.

إن للحكمة معاني شتى منها:

أ. السنة النبوية، ولاسيما في الآيات التي ترد فيها الأفعال: أنزل أو يتلو أو يعلمهم كما في الآية129 في سورة البقرة، والآية151 من سورة البقرة، والآية 164 من سورة آل عمران. والآية34 من سورة الأحزاب والآية 2 من سورة الجمعة.

وإلى هذا ذهب الشافعي وجماهير المفسرين كما ذكر النحاس ذلك في كتابه إعراب القرآن: 315/2

---

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 85/5 وإعراب القرآن للنحاس: 186/4-187 والبيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري: 403/2 والتبيان للعكبري: 1192/2.

(2) ينظر: التبيان للعكبري: 1192/2.

ب. وفسرت الحكمة بالعلم والتخلص من الجهالة والضلالات كما في الآية251 من سورة البقرة. وكذا فسرت الآية 20 من سورة ص.

ج. وقد يراد بها الفقه والفهم بمعاني الكتاب كما في الآية110 من سورة المائدة.

د. وقد يراد بها الكتاب السماوي كالإنجيل، كما دلت على ذلك الآية63 من سورة الزخرف.

وقد يراد بها القرآن الكريم نفسه كما في الآيتين (4-5) من سورة القمر.

وفسر ابن مسعود رضي الله تعالى عنه الحكمة بالقرآن الكريم في الآية269 من سورة البقرة.

ه. أو هي السداد في القول والعمل كما دل على هذه الآية48 من سورة آل عمران والآية20 من سورة ص.

و. وقد يراد الحكمة الموعظة، أو الوصية بالتزام الحق والمعروف كما في الآية39 من سورة الإسراء.

ز. وإن من المعاني التي استخدمها القرآن في الحكمة: النبوة كما دلت على هذا الآية54 من سورة النساء.

ح. وقد يراد بالحكمة الكلام المحكم الصواب، أو المقالة المحكمة الصحيحة، وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة كما قد يفهم ذلك من الآية110 من سورة المائدة.

ط. وقد يراد بالحكمة مواعظ القرآن خاصة كما يفهم ذلك من الآية231 من سورة البقرة.

ي. إن الحكمة التي وهبها الله للقمان هي العلم والعمل به، والإصابة في الأمور.

وخلاصة ما يقال في الحكمة هي وضع الأمور مواضعها على وجه الصواب والصلاح سواء توصلنا إليها عن طريق امتثالنا للأوامر الإلهية أو النبوية أو سواء توصلنا إلى الحق عن طريف العلم والتجربة أو الاعتبار.

وإن من جملة الحكمة أن يشتغل الإنسان بالأهم وإن أهمل الأهم كان مخالفا للعلم ولم يكن من الحكمة في شيء.

وإن التزام الحكمة أمر ضروري لكل إنسان ينشد الكمال مهما تعددت وظائف الناس وواجباتهم، ومهما اختلف مستوياتهم، وفي أي زمان كانوا، وفي أي أرض حلوا.

وإن الحكمة لن تتحقق ما لم يتظافر التطبيق مع القول الحق، وإن الحكمة تدعونا لأن نغوص في بحار العلم الديني والدنيوي، على حد سواء، لنصل إلى تحقق سعادة الدارين، وإرواء ما في نفوسنا من رغبة جامحة للتوصل إلى معرفة أسرار الأشياء وحقائقها عن طريق التجربة والانتفاع من هدي الله ورسله الكرام (عليهم صلوات ربي وسلامه)، وسلوك مسلك ذوي العلم والتقى لنصل إلى السداد، ومجانبة الوقوع في الهفوات في كل أمر ديني أو دنيوي، ولنحقق سعادة الدارين.

المصادر

۞ القرآن الكريم.

1. أحكام القرآن، للإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، ت204 هـ، جمعه الإمام أبو بكر البيهقي، ت458 هـ، تقديم، الكوثري، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، سنة1400 هـ-1980 م.
2. أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي المالكي، ت543هـ، تحقيق، علي محمد البجاوي، ط دار الجيل، بيروت، لبنان، سنة1407هـ-1987م.
3. أحياء علوم الدين، تصنيف الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، ت505هـ، وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار للعراقي، ت806هـ، كما طبع في آخره ثلاثة كتب، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، دون تاريخ.
4. أسباب النزول للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، ت468هـ، تحقيق د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، سنة1406هـ-1986م.

5. الأسماء والصفات للإمام الحفظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى، سنة458هـ، عنى بتصحيحه الشيخ محمد زاهد الكوثري الحنفي وقد طبع معه كتاب فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الإيوان، نشر دار أحياء التراث العربي، بيروت.
6. إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، ت338هـ، تحقيق د. زهير غازي زاهد، طبعة عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط2، سنة1405هـ-1985م.
7. الإقناع في القراءات السبع، تأليف أبي جعفر أحمد بن علي الأنصاري، ابن الباذش، ت540هـ، حققه د. عبدالمجيد قطامش، ط1 سنة1403هـ، في دار الفكر بدمشق.
8. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تأليف مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، ت817هـ، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، ط2، سنة1406هـ-1986م، مطبعة نهضة، مصر.
9. التبيان في إعراب القرآن، تأليف أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، ت616هـ تحقيق محمد علي البجاوي، طبعة دار الجيل، بيروت، ط2، سنة1407هـ-1987م.
10. البيان في غريب إعراب تأليف ابي البركات بن الأنباري، ت577هـ، تحقيق د. طه عبدالحميد طه، ومراجعة مصطفى السقا، طبعة الهيئة المصرية العمة للكتاب، سنة 1400هـ- 1980م.
11. تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، ت516هـ، تحقيق خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار، ط1، دار المعرفة، بيروت، سنة1406هـ-1986م.
12. تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تأليف القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ت791هـ، ط دار الكتب العلمية، بيروت، سنة1408هـ-1988م.

13. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، ط3، دار الفكر، بيروت، سنة1405هـ–1985م.
14. تفسير القرآن العظيم لأبي الفراء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت774هـ، ط2، دار الجيل، بيروت، سنة1410هـ–1990م.
15. تفسير المشكل من غريب القرآن، للإمام مكي بن أبي طالب القيسي، 347هـ، تحقيق د. علي حسين البواب، مكتب المعارف، الرياض، سنة1406هـ–1985م.
16. تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، ت276هـ، تحقيق السيد أحمد صقر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، سنة1398هـ–1978م.
17. جامع البيان في تفسير القرآن، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط3، دار المعرفة، بيروت، سنة1398هـ–1987م.
18. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت671هـ، ط2، صححه أحمد عبدالعليم البردوني، سنة1372هـ–1952م.
19. جواهر البيان في مواعظ الحكيم لقمان، تأليف جميل إبراهيم حبيب، طبعة بغداد، سنة1984م.
20. ديوان النابغة، حققه وضبطه: المحامي فوزي عطوي، منشورات الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، سنة1969م.
21. ديوان جرير، طبعة دار صادر، بيروت، سنة1384هـ–1964م، تقديم كرم البستاني.
22. ذيل ديوان طرفة بن العبد، مع شرح الأديب يوسف الأعلم الشنتمري، مكس سلغنسون، مدينة شالنة، طبع سنة1900م.
23. شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري بتحقيق إحسان عباس، طبعة الكويت سنة، 1962م.

24. صفوة التفاسير، تأليف محمد علي الصابوني، ط2، دار الفكر، بيروت، سنة1419هــت1998م.

25. الكتاب لسيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون، طبعة بولاق، بمصر.

26. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشري، ت538هــ، الناشر، دار الرياض للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد، ط3، سنة1407هــ-1987م.

27. الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي، ت437هــ،طبعة دمشق.

28. لسان العرب لابن منظور، ت711هــ، ط2، دار صادر سنة1375هــ-1956م.

29. مجمل اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، ت395هــ، دراسة وتحقيق زهير عبدالمحسن سلطان، طبع بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطالع القرن الهجري الخامس عسر في جمهورية العراق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، سنة1404هــ-1984م.

30. مختار الصحاح، تأليف محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ت666هــ، طبعة دار الرسالة، كويت، سنة1403هــ-1983م.

31. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تأليف برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ت885هــ، قدم له وحققه د. عبدالسميع محمد، طبع مكتبة المعارف/الرياض. ط1، سنة1408هــ-1987م.

32. معاني القرآن، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، ت207هــ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة1400هــ-1980م، ط2.

33. معاني القرآن للأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، دراسة وتحقيق، د. عبدالأمير محمد أمين الورد، ط1، عالم الكتب، بيروت سنة،1405هـ-1985م.

34. معاني القرآن وإعرابه للزجاج، أبي إسحاق إبراهيم السري، شرح وتحقيق د. عبدالجليل عبده شلبي، طبعة عالم الكتب، ط1، سنة1408هـ-1988م.

35. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، تأليف محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة دار الفكر، بيروت، سنة1407هـ-1987م.

36. معجم مفردات ألفاظ القرآن، للعلامة الراغب الأصفهاني، ت503هـ، ط دار الفكر، بيروت، تحقيق نديم مرعشلي، سنة1392هـ- 1972م.

37. الموطأ للإمام مالك، ت179هـ، ومعه إسعاف المبطأ برجال الموطأ للسيوطي، ت911هـ، قدم لهما د.فاروق سعد، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، سنة1405هـ-1985م.

38. نواسخ القرآن للعلامة ابن الجوزي، ت597هـ، تحقيق ودراسة محمد أشرف الملباري، ط1، سنة1404هـ-1984م، المجلس العلمي، إحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية.

المحتويات

العنوان	الصفحة
المقدمة	
المبحث الأول: تعريف الحكمة وبيان فضلها	
المطلب الأول: تعريف الحكمة في اللغة والاصطلاح	
المطلب الثاني: فضل الحكمة في كونها من الكمالات	
المبحث الثاني: الحكمة التي علمها الرسول ﷺ أمته	
المبحث الثالث: الحكمة التي آتاها الله النبيين	
المطلب الأول: الحكمة التي آتاه الله إبراهيم عليه السلام	

المطلب الثاني: الحكمة التي آتاها الله داود ﵇	
المطلب الثالث: الحكمة التي آتاها الله عيسى ﵇	
المبحث الرابع: الحكمة التي آتاها الله غير النبيين كلقمان الحكيم	
المبحث الخامس: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى	
المبحث السادس: من معاني الحكمة الاعتبار بحال الأمم السالفة	
الخاتمة	
المصادر	